أجاثا كريستي

الكأس الأخيرة

ترجمة
أحمد حسن

الحريــة
للنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب	الكأس الأخيرة
ترجـــمـــة	أحمد حسن
الـنـاشـــــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ ـ ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيـداع	٢٠٠٧/٣٥٠٠
الترقيم الدولى	55 - 85 - 23 - 206

الحريــــة 3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة

للنشر والتوزيع 0123877921 - 25745679





روزماري

كانت إيريس مارل تفكر فى أختها روزمارى.

ومنذ عام، وفى خلال هذا العام، وهى تحاول أن تبعد عن ذهنها التفكير فى روزمارى. فهى لا تريد أن تتذكر.

فإن الذكرى مؤلمة جداً.. وفظيعة جداً.

الوجه الأرق المسموم، والأصابع المتوترة.. المتصلبة. الملتوية والفارق الرهيب بين هذا المنظر، وبين منظر روزمارى الفاتن الزاخر بالحيوية والابتهاج قبل ذلك الحادث بيوم.. أو بلحظات.

حسناً.. لعلها لم تكن زاخرة بالحيوية والابتهاج تماماً.. فقد كانت تعانى من نزلة برد.. انفلونزا، خلال الأسبوع السابق على الحادث.. وكانت روحها المعنوية هابطة، وشعورها بالانقباض شديداً.. وقد نوقش هذا كله فى جلسة التحقيق.. وقد أكدت إيريس نفسها هذه الحقيقة لأنها تفسر الحادث، بأنه حادث انتحار روزمارى..؟

وبعد انتهاء جلسة التحقيق وحفظ القضية على أنها حادث انتحار، حاولت إيريس - عن عمد - أن تجنب نفسها التفكير فى الموضوع كله.. أن تنسى الحادث المؤلم الرهيب، فما هى فائدة الذكرى؟!

ولكنهـا أدركت الآن أن عليهـا أن تتذكـر.. عليـهـا أن تعـود
الماضى.. أن تستعيد فى ذاكرتها بكل عناية جميع التفصيلات
كانت بساطتها وتفاهتها.

إن اجتماعها أمس بجورج بارتون ـ زوج أختها روزمارى
السبب فى إحياء هذه الذكريات، وبعثها من مرقدها.

لشد ما كان هذا الاجتماع رهيباً، غير منتظر.. ولكن.. لا
يكن منتظراً حقاً!.. ألم تكن ثمة قرائن تنم عليه من قبل! ألم
جورج قد بدأ فى الأسابيع الأخيرة يستغرق كثيراً فى التفكير،
الذهول، وفى النسيان، وفى كثير من التصرفات التى كانت تـ
غريباً شاذاً فى نظرها، حتى عرفت الحقيقة ليلة أمس عنـ
استدعاها الى غرفة مكتبه وأخرج الرسالتين من الدرج!

وهكذا لم يعد ثمة مفر من العودة الى الذكرى.. الى التفكير
مأساة روزمارى.. روزمارى.. شقيقتها.

وفوجئت ايريس حين أدركت أنها لأول مرة فى حياتها تفكر
روز مارى.. تفكر فيها على أنها شخص.. إنسان..!!

لقد كانت من قبل، طول عمرها، تشعر بوجود روز مارى
حياتها، دون أن تفكر فيها، فالانسان ـ عادة ـ لا يفكر فى أمه أو
أو أخته أو عمته.. لأنهم موجودون.. لا يشك فى وجودهم، ولا يـ
فى علاقته بهم.

إنه لا يفكر فيهم على أنهم ـ أشخاص ـ بل لا يسأل نفسه: مـ
شكلهم.. وما هى طباعهم؟

ذا كان شكل روز مارى.. وماذا كانت طباعها؟!

. يكون لهذا السؤال قيمة هامة الآن.. قيمة يتوقف عليها الشىء
ـ.! وإن إيريس لتعود بذاكرتها الى الماضى.. الى عهد طفولتها
ز مارى لقد كانت روز مارى تكبرها بستة أعوام.. إن لمحات من
ى ترتد اليها.. ومضات سريعة.. مناظر قصيرة.. إنها تتذكر
ـا طفلة تأكل الخبز واللبن.. وروز مارى «صبية» جميلة.. ذات
ر وأشرطة، تستذكر دروسها على المائدة.

ـواسم الاصطياف.! على شاطىء البحر.. إيريس طفلة تلعب
لرمال، تحسد روز مارى «الفتاة» التى تعرف كيف تسبح.

ذهب روز مارى الى مدرسة داخلية، وتعود الى البيت فى
لات المدرسية.. ثم يأتى الدور على إيريس لتلتحق بالمدرسة
.. ولكن روز مارى تكون قد فرغت من دراستها الثانوية فى
ى.. لقد ذهبت روز مارى الى باريس فتاة عجفاء، طويلة
عين والساقين، لتعود من باريس غادة «مكتملة» رشيقة، ناعمة
ت، رقيقة الحركة، ذهبية الشعر، واسعة العينين، باهرة الجمال
ـد يدير الرأس.. فتاة مكتملة النضج، رائعة الحسن.

منذ ذلك الحين والأختان لا تلتقيان إلا لماماً.. برغم معيشتهما
سقف واحد.. فقد كانت السنوات الست، هوة واسعة بينهما.

إيريس لم تزل تلميذة بالمدرسة.. وروز مارى فى خضم الحياة
ـاعية الثائرة الفائرة.. وقد ظلت الهوة الواسعة بينهما حتى بعد أن
، إيريس من المدرسة لتستقر فى البيت.. ذلك أن حياة روز مارى
نوماً فى الفراش الى الضحى، ثم طعام الغداء بين الأصدقاء

والمعجبين والمرشحين للزواج منها. ثم استعداداً للحفلات الساهرة معظم أيام الأسبوع.. حيث الرقص.. والبهجة.. والمرح. أما حياة إيريس فكانت دروساً خاصة فى اللغة الفرنسية وآداب المجتمع على يدى مدرسة فرنسية.. ثم نزهة فى الأصيل مع الوصيفة فى الحديقة العامة.. ثم العشاء فى التاسعة تماما، ثم النوم فى تمام العاشرة.

ولم تكن علاقة الأختين تتجاوز لحظات عابرة خاطفة أثناء النهار، حيث تتبادلان عبارات كهذه:

هاللو إيريس.. أرجو منك أن تستدعى سيارة مأجورة بالتليفون.. هلم يا عزيزتى الصغيرة الوادعة.. فإنى سأتأخر الليلة كثيراً.

أو: - إننى غير معجبة بفستانك هذا الجديد يا روزمارى.. إنه صارخ الألوان أكثر مما ينبغى.

ثم إعلان خطبة روز مارى لجورج بارتون.. الابتهاج.. الانفعالات.. عمليات الشراء.. التجهيز.. إعداد أثواب الزفاف.

والزفاف.. وإيريس - كوصيفة شرف - تسير وراء روز مارى فى ممر الكنيسة الى المذبح، وهمسات الإعجاب بالعروس تتطاير حولها:

«ما أروع جمالها.. ما أبهره..». لماذا تزوجت روز مارى جورج بارتون؟! إن إيريس، حتى يوم الزواج، كانت تسأل نفسها هذا السؤال فى دهشة. فقد كان هناك، حول روز مارى، شبان كثيرون يتمتعون بالشباب، والجاذبية، وجمال السمت، وخفة الظل.. كلهم كانوا يتمنون الزواج منها.. فلماذا اختارت جورج بارتون الذى يكبرها بخمسة عشر عاماً.. والذى تنقصه الجاذبية وحيوية الشباب وإن توافرت فيه عناصر الطيبة وكرم الأخلاق وهدوء الطباع.

حقاً إن جورج رجل ثرى.. ولكن المال ليس كل شىء.. لم تكن له مكانة هامة فى نظر روز مارى.. لأنها لم تكن فى حاجة الى المال.. كان لديها الكثير منه.. كانت لديها الثروة الضخمة الموروثة عن العم بول.

إن إيريس تركز الآن ذكرياتها فى الماضى.. تحاول أن تفرق بين ما تعرفه الآن، وبين ما كانت تعرفه يومذاك.

فمثلا.. العم بول!! إنه لم يكن عماً حقيقياً.. وهى تعرف هذه الحقيقة دائماً.. دون أن تخبر أحداً - على وجه التحديد - أنها تعرف بعض الحقائق الخاصة.. فقد كان بول بنيت يحب أمها أقوى وأخلص ما يكون الحب.. ولكن أمها فضلت عليه شخصا آخر.. أقل مالا.. إنه والدها.. والد إيريس وروز مارى. وتحمل بول بنيت هزيمته بروح رياضية عالية.. وتحول الحبيب المهزوم الى الصديق الوفى.. صديق العائلة.. وأصبح «العم بول» الوالد الروحى لروز مارى.. الإبنة البكر.. فلما مات، تبين الجميع أنه أوصى بكل ثروته لابنته الروحية روز مارى، وكانت فى الثالثة عشرة من عمرها.

وكانت ثروة ضخمة وأصبحت روز مارى، علاوة على جمالها وصباها، مليونيرة.. ومع ذلك تزوجت من جورج بارتون، الطيب القلب، الثقيل الظل، الذى يكبرها بخمسة عشر عاماً.

لماذا؟! لقد تساءلت إيريس كثيراً، كما تتساءل الآن.! إنها تعتقد تماماً أن روز مارى لم تحب جورج يوماً.. ولكن كان يبدو عليها أنها سعيدة فى حياتها معه.. كانت تميل اليه.. نعم.. كانت تعزه.. ولكن ثمة فارق كبير بين الميل والإعزاز وبين الحب.!

إن إيريس تعرف هذه الحقائق عن علاقة روز مارى بزوجها لأنها

جاءت لتعيش معهما فى بيت واحد بعد الزواج بعام ـ أى عقب
أمها فيولا مارل وكانت يومذاك فى السابعة عشرة من عمرها.

وإنها الآن تحاولأن تتذكر كيف كانت وهى فى السابعة عشر
عمرها؟! كيف كان شكلها.. ماذا شعرت.. ماذا فكرت.. ماذا رأت

لقد انتهت من تفكيرها بأن إيريس ابنة السابعة عشرة، كانت
بطيئة النمو، بطيئة التفكير، تتقبل الأشياء كما هى.. فمثلا، هل
ساخطة لأن أمها ظلت طول حياتها تخص بعنايتها ورعايتها روز
دونها؟! لا.. لقد تقبلت هذه الحقيقة الواقعة فى هدوء وبغير تر
لقد تقبلت «الحقيقة» بأن روز مارى تتمتع بمكانة خاصة فى مع
الأسرة.. بأن روز مارى «شىء خاص».. وبأنه من الطبيعى جد
تعنى أمها ـ بقدر ما تسمح به صحتها الضعيفة ـ بابنتها البكر
مارى.. وبأن دورها فى الاستمتاع برعاية أمها سوف يحل فى ال
المناسب.. وما عدا هذا فقد كانت فيولا مارل دائماً أماً ـ من بع
مشغولة بصحتها الضعيفة، معتمدة فى تربية ابنتها على المرب
والمدرسات، والمدرسة، ولكنها كانت دائماً رقيقة عطوفاً حانية ح
الفترات القليلة التى تجتمع فيها معهما.. وكان هكتور مارل ـ الو
قد توفى حين كانت إيريس فى الخامسة من عمرها.. وهى لا ت
كيف تسرب الى عقلها وشعورها تلك الأنباء القائلة إن أباها
بسبب الإسراف فى شرب الخمر.

وأياً كان الأمر، فقد كانت إيريس ـ وهى فى السابعة عشرة
عمرها ـ فتاة وادعة تتقبل الحياة كما هى.. بكت أمها بعد ال
كثيراً.. وارتدت عليها ملابس الحداد.. ومضت لتعيش مع أخ
وزوجها فى منزلهما الكبير بشارع الفاستون سكوير.

كانت الحياة فى ذلك البيت مملة أحياناً.. فلم يكن مسموحاً
س ـ طبقاً للتقاليد ـ أن تشترك فى الحياة الاجتماعية خارج
، إلا بعد عام.. أى بعد بلوغها الثامنة عشرة من عمرها.. وفى
، هذا العام كانت تتلقى دروساً فى اللغتين الفرنسية والألمانية
.ل ثلاث مرات فى الأسبوع، وتتردد على معهد ليلى لدراسة
ـر المنزلى. ولكن كانت تأتى فى حياتها، خلال هذا العام، فترات
ـد فيها ما تفعله، أو من تتبادل معه الحديث. وقد كان جورج
طيب القلب، عطوفا، يحبها كشقيق.. ولم تتغير عواطفه نحوها
الآن وروز مارى؟! ماذا عنها؟!

ن إيريس لا تذكر إلا الشىء القليل عن روز مارى.. فقد كانت
ـارى مشغولة بشئونها الخاصة.. متاجر الأزياء.. حفلات
تيل.. السهرات الراقصة.. الأصدقاء وألعاب البريدج.

ـا هى المعلومات الحقيقية التى تعرفها إيريس عن روز مارى وهى
فيها الآن؟! ماذا تعرف عن ذوقها.. عن آمالها.. عن مخاوفها؟!

ليس من المؤلم أن يعيش الانسان مع شقيقته تحت سقف واحد،
يكاد يعرف عنها شيئا؟

ـم يكن بين الأختين هذه الألفة التى ترفع من بينهما الكلفة
ن.. عليها أن تفكر الآن.. أن تتذكر.. فلعل لهذه الذكريات نتائج
ة.. حقاً كان يبدو على روز مارى أنها سعيدة فى حياتها.

حتى ذلك اليوم السابق على المأساة.. بأسبوع. إن إيريس لن
ى هذا اليوم.. إنها تذكر مكتب روز مارى اللامع.. المقعد المدفوع
الوراء.. الكلمات المكتوبة بسرعة واضطراب.

إنها تغمض عينيها، وتركز ذهنها فى ذكريات هذا اليوم. إنها تذكر كيف دخلت على روز مارى فى غرفة جلوسها الخاصة.. وكيف توقفت فجأة فى دهشة ورهبة وهى ترى أختها معتمدة برأسها على ذراعيها المبسوطتين فوق المكتب، تبكى.. تبكى بعنف وقوة.. إنها لم تر روز مارى من قبل باكية.. ومن ثم فقد فزعت وهى تراها تبكى بكل هذه المرارة والألم والعنف.

حقاً كانت روز مارى تعانى من نزلة برد عنيفة، وأنها لم تغادر الفراش إلا منذ يومين، وأن كل انسان يعرف الأثر السىء الذى تتركه الأنفلونزا فى الروح المعنوية للمريض.

وصاحت إيريس فى صوت كله الطفولة والبراءة: ـ أوه.. روز مارى.. ماذا بك؟!

وانتصبت روز مارى فى جلستها، وأزاحت خصلات شعرها الى الوراء، وقالت بسرعة وهى تحاول أن تسيطر على أعصابها:

ـ لاشىء.. لا شىء.. لا تحدقى النظر فى وجهى هكذا.

ثم نهضت، وأسرعت بمغادرة الغرفة. وازدادت دهشة إيريس وهى تطوف بنظراتها فى جوانب الغرفة حتى وقعت عيناها على المكتب، ولمحت اسمها مكتوباً بين الكلمات التى كانت أختها تكتبها.. ترى.. هل كانت روزمارى تكتب رسالة اليها.

واقتربت من المكتب.. ونظرت الى الورقة الزرقاء التى تحمل كلمات مكتوبة بخط روز مارى. مكتوبة بسرعة، واضطراب، وانفعال:

«عزيزتى إيريس:

«ليس هناك ما يستدعى أبداً لأن أكتب وصية.. لأن ثروتى كلها ستنتقل اليك طبيعياً، ولكنى أريد فقط أن أهب بعض ممتلكاتى الخاصة لأشخاص معينيين.

«إنى أهب جورج جميع الحلى والجواهر وعلبة المصاغ المطلية بالميناء التى اشتريناها معاً يوم إعلان خطبتنا.. «وإلى صديقتى جلوريا كنج علبة السجاير البلاتينية..»

«وإلى ميزى التمثال الخزفى للجواد الصينى الذى طالما أعربت عن إعجابها به.. «وإلى....» وتوقفت عن الكتابة هنا لتترك العنان لدموعها الساخنة الحرى.وتسمرت إيريس فى مكانها كتمثال من حجر.. ما معنى هذا؟! إن روز مارى ليست فى طريقها الى الموت..؟! أم لعلها فى الطريق اليه؟! لقد كانت مريضة جداً بالأنفلونزا.. ولكنها الآن فى دور النقاهة.. والناس عادة لا يموتون بالأنفلونزا.. وقد يموت بعضهم.. ولكن روز مارى لم تمت.. وهى فى حالة طيبة الآن برغم شحوب وجهها وانقباض صدرها.. وعادت إيريس تطوف بنظراتها على الورقة مرة أخرى، ثم تسمرت نظراتها على هذه الجملة التى تركت فى نفسها أثراً كبيراً.. «ثروتى كلها ستنتقل إليك طبيعياً».

كانت تلك أول ومضة من الحقيقة التى عرفها فيما بعد بشأن وصية العم بول. فقد كانت تعرف منذ طفولتها أن روز مارى ورثت عن العم بول كل ثروته، وأنها أصبحت موفورة الثراء بينما بقيت هى، نسبياً فقيرة.. ولكنها، حتى هذه اللحظة، لم تسأل عما قد يحدث للثروة الضخمة بعد وفاة روز مارى.. ولو أنها سئلت فى هذا الشأن، لقالت إنها تعتقد أن الثروة ستنتقل الى جورج زوج روز مارى - ولأردفت قائلة إنه ليس من المعقول، أو المقبول، أن تموت روز مارى

قبل جورج.

ولكن ها هى دى الحقيقة.. مكتوبة بالمداد الأسود، وبخط روز مارى، تعلن أن الثروة الضخمة، سوف تنتقل بعد وفاة مارى - إلى إيريس! ولكن.. لا يتفق هذا، تأكيداً، مع القانون. فالزوج أو الزوجة هما الوارثان لبعضهما البعض وليست الأخت.. إلا إذا كانت وصية العم بول بنيت تنص على انتقال الثروة الى الأخت.. ولا شك أن هذه هى الحقيقة. لا شك أن العم بول اشترط فى وصيته أن تؤول الثروة إلى إيريس بعد وفاة روز مارى وهذا يخفف من الظلم!.

الظلم!! لقد فوجئت إيريس حين ومضت هذه الكلمة فى ذهنها. هل كانت تفكر دائماً فى أنه من الظلم أن تظفر روز مارى بكل ثروة العم بول.. هل كانت تعتقد هذا فى قرارة نفسها؟ بالتأكيد؟ إنه ظلم بين.. فهما شقيقتان.. هى وروز مارى.. كلاهما من أم واحدة.. فلماذا يخص العم بول روز مارى بكل ثروته..؟

إن روز مارى تظفر دائماً بكل شىء.؟!

حفلات.. وملابس.. وشبان يعرضون قلوبهم تحت قدميها.. وزوج محب عطوف.. إن الشىء الوحيد السخيف الذى عانته روز مارى فى حياتها هى إصابتها بنوبة انفلونزا.. وحتى هذه النوبة لم تستمر أكثر من أسبوع.. وترددت إيريس برهة وهى واقفة بجانب المكتب.. وصفحة الورق.. هل أرادت روز مارى أن تتركها هكذا ليراها الخدم؟!

وبعد تردد خفيف، تناولت الورقة، وطوتها، ودستها فى أحد أدراج المكتب، وعثر المسئولون عليها عقب المأساة، واتخذوا منها دليلا - إذا كان ثمة حاجة الى دليل - على أن روز مارى كانت تعانى من

الانقباض، وهبوط الروح المعنوية واضطراب التفكير، عقب مرضها.. ولعل هذا كله قد أثار فى ذهنها التفكير فى الانتحار... «الانقباض النفسى بعد الانفلونزا» هذا هو القرار الذى برر به المحققون فى جلسة التحقيق سبب انتحار روز مارى.. وهو قرار ساعدت إيريس على اتخاذه.. وأيا كان الرأى فى هذا القرار، فلم يكن ثمة قرار آخر يمكن للمحققين أن يتخذوه.. هذا وقد كانت الانفلونزا عنيفة فى هذا العام بالذات.. ولم يكن فى وسع إيريس، أو جورج، أن يفكرا فى سبب آخر يبرر انتحار روز مارى.

إن إيريس لتعجب، وهى تستعيد فى ذهنها تلك الرسالة التى عثرت عليها فى الكرار كيف لم تلحظ ما كان يجرى أمام عينيها بوضوح.. فقد كانت الأحداث كلها تجرى أمام عينيها، وتحت أنفها، دون أن ترى أو تلاحظ شيئاً.. وقفز ذهنها بسرعة عبر المأساة.. لم يعد هناك ما يدعو الى التفكير فيها.. لقد وقعت المأساة، وانتهى الأمر.. انتهى تماماً.. فلتتجنب التفكير فى ذكرى الفزع.. والوجه المتألم المسموم.. وإجراءات التحقيق.. وأحزان جورج المطلة من عينيه الداميتين، لتتجنب إيريس هذا كله الآن، ولو إلى حين، لتعود بذاكرتها الى حادث عثورها على الرسالة الغامضة فى الكرار...

حدث هذا بعد مأساة روز مارى بستة أشهر تقريبا.. وكانت إيريس قد ظلت مقيمة مع زوج شقيقتها جورج بارتون بمنزل إلفاستون سكوير. وكان محامى أسرة مارل - وهو كهل مهذب - قد اجتمع بايريس عقب المأساة وأخبرها بأن ثروة العم بول بنيت قد آلت إليها بعد وفاة أختها، طبقاً لنصوص وصيته، وذكر لها أن من حقها التصرف فى هذه الثروة الضخمة عند بلوغها الحادية والعشرين من

عمرها، أو عند زواجها. وكان أهم ما يشغل بال إيريس يومذاك هو مكان إقامتها وقد أصبحت وحيدة فى الحياة. وعرض جورج بارتون عليها الاقامة معه بعد أن يستدعى عمتها مسز دريك - التى كانت تعانى الأزمات المالية بسبب مطالب ابنها المدلل - للاقامة معها حتى لا تلوك الألسنة سيرتهما إذا أقامت وحدها فى بيته. وقبلت إيريس - شاكرة - هذا العرض، وجاءت العمة لوسيلا - مسز دريك - للاقامة معها والعناية بها. وهكذا استقرت الأمور فى منزل إلفاستون سكوير.

وبعد ستة أشهر تقريباً، عثرت إيريس على الرسالة الغامضة فى حجرة الكرار.

وكانت حجرة الكرار فى المنزل الكبير مخصصة لتخزين مختلف الأشياء القديمة والمهملات وحقائب الملابس غير المستعملة.. وكانت إيريس قد دخلت الحجرة آملة أن تعثر على صديرية من الصوف الثمين كانت أثيرة لديها بعد أن يئست من العثور عليها فى أنحاء المنزل. وفيما هى تبحث عن الصديرية بين أكداس الملابس المختلفة - غير المستعلمة - الموضوعة فى الحقائب الكبيرة، إذ يدها تلمس شيئا يشبه الورق فى جيب أحد فساتين روزمارى الصوفية، فلما تناولت الورقة، تبينت أنها مسودة رسالة مكتوبة بخط يد روزمارى، فبسطتها فى رفق، وراحت تقرأها...

«حبيبى ليوبارد.. لا شك أنك غير جاد فيما قلت.. فأنت لا تستطيع.. لا تستطيع.. لأننا نتبادل الحب.. لأن كلامنا ملك للآخر.. وأنت تعرف هذا كما أعرفه أنا.. فليس من المعقول أبداً أن نتبادل عبارات الوداع ببرود أو هدوء، ثم نستأنف الحياة كما كانت قبل الحب.. أنت تعرف أن هذا فى حكم المستحيل يا حبيبى.. مستحيل

جـداً.. فكل منا ملك للآخـر.. الآن.. والـى الأبد.. إننـى لسـت امـرأة تهـتم بما يقـول النـاس.. فـالحب فـى نظرى هو أعـز وأسـمـى وأجـمل شىء فى الوجود.. ولسـوف نمضى معاً.. نهرب من الناس، ونعيش فى سـعادة حالمة.. سـوف أجعلك أسـعد إنسـان فى الـدنيا.. وقد قلت لى ذات مرة أن الحياة بدونى هباء فى هباء..

«أتذكر هذا يا حـبيبى ليوبارد..؟ أتذكر هذا وأنت تكتب لى الآن بكل هدوء تطلب قطع علاقتنا.. وأنك تريد هذا لصالحى.. ولفائدتى، ولكننى لا أسـتطيع أن أعيش بدونك.. حقـا سـأشـعـر بالأسف من أجل جورج، فقد كان دائمـا رفـيقـا بى، لطيفـا معى، وأعـتـقـد أنه سـيـقـدر شعورى وسيسـرحنى باحسـان.. فليس من المعقول أو المقبول أن يستمر الزوجان فى حياتهما الزوجية إذا كان أحدهما لا يحب الآخر..

«ولست أشك فى أن الله قـدخلقنا لنعـيش مـعـاً.. أنت وأنا.. إنى واثـقـة من هـذا.. ولسـوف نعيش فى أتم سـعـادة.. ولكن يجب أن تتـذرع بالشـجاعة فى مواجهة المجتمع.. ولسـوف أخبـر جورج بنفسـى عن كل شئ فى صـراحة ووضـوح.. ولكنى لن أصارحه إلا بعد الاحتـفـال بعيـد ميلادى..

«وأنا موقنة بأنى على صواب فيما سـأفعل يا حبيب ليوبارد.. فأنا لا أسـتطيع أن أعـيش بدونك.. وأخـشى أن تـغـضب منى لأنى أطلت الكتابة إليك.. فـقـد كـان يكفى أن أعـبـر لك عن حبى بـكلمـات قليلة.. هى.. إنى أحبك، ولن أدعك تفلت من حبى مـهـمـا يكن الثمن.. أوه يا حبيب!.»

وانتـهت الـرسـالة عند هـذا الحـد. ووقـفـت إيريس فى مكانهـا من

غرفة الكرار تحدق النظر اليها فى دهشه وذهول.

ما أقل ما يعرف الانسان عن أخته!

إذن فقد كان لروزمارى حبيب.؟ حبيب تكتب إليه رسائل غـ
ملتهبة.. وتدبر الخطة للهرب معه.!

ماذا حدث؟! إن روزمارى لم ترسل هذا الخطاب.. فلماذا؟ ،
هى مسودة خطاب مماثل أرسلته.. أم أنها أرسلت خطاباً آخر و
هو هذا الحبيب المجهول الذى أطلقت عليه اسم ليوبارد أى «الفهد
وما أغرب الأسماء التى يختارها العشاق لبعضهم البعض!

من هو؟ هل كان يبادلها الحب بمثله؟! لا شك إنه كان يفعل.
تكن روزمارى باهرة الجمال! ومع هذا، وبناء على ما ورد
الخطاب، فقد أراد أن يضع حداً لعلاقتهما.. فلماذا؟ هل أراد
يفعل هذا لصالحها وفائدتها حقاً كما ذكر لها! ولكن.. أليس هذا
يقوله كل رجل حين يريد أن يقطع علاقته بالمرأة التى تحبه.؟
تعنى هذه العبارة أنه لم يكن فى الواقع يحبها كما تظن، وأن علا
بها لم تكن إلا نزوة عابرة! إن إيريس تشعر فى أعماق نفسها أن هـ
الحبيب المجهول، أيا كان، كان جاداً فى رغبته لقطع كل صلة بـ
وبين روزمارى.

ولكن تفكير روزمارى كان يختلف عن تفكيره باختلاف قوة الـ
بينهما.. فبينما كان هو يريد الهرب منها، كانت هى مصرة عـ
الهرب معه.!

وارتعدت إيريس.

كيف كان هذا كله يجرى دون أن تدرى به.؟ لاشك أنها كانت
ميـاء البصيرة فلم تلحظ على أختها أمارات هذا الحب العميق،
نما اعتقدت فقط أنها سعيدة مع زوجها جورج بارتون.

ولكن.. من هو هذا الحبيب؟! إن إيريس تعود بذهنها الى
اضى.. تفكر.. تفكر.. وتتذكر.. لقد كانت روزمارى محوطة دائما
دد كبير من المعجبين والأصدقاء الذين تتناول معهم الطعام فى
خارج وتحضر فى صحبة بعضهم الحفلات الساهرة والراقصة.. لم
ن بينهم شخص معين تكثر معه الخروج دون الباقين.. ولكن لابد أن
ون هناك شخص معين.. حبيب القلب.. والباقون مجرد أصدقاء
دبين للتمويه.. لاخفاء علاقتها الحقيقية بذلك الشخص المعين.

وقطبت إيريس جبينها وهى تحاول أن تتذكر علاقة أختها
سابقة بكل واحد من أصدقائها.. وأخيراً ترسب فى ذهنها إسمان
ابين أيقنت أن أحدهما لا شك هو الحبيب المجهول لروزمارى..
تيفن فراداى؟ آه.. على الأرجح أن يكون ستيفن فراداى هو ذلك
حبيب؟ ولكن.. ماذا أعجب روزمارى فى ستيفن؟ إنه شاب ثقيل
ظل متعجرف، تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره.. حقاً يقال عنه
، ذكى، وسياسى بارع، وينتظره مستقبل مرموق، وأنه ليس من
ستبعد أن يصبح وزيرا بنفوذ أصهاره من أسرة كيدر منستر
ريقة.. بل ليس من المستبعد أن يصبح رئيساً للوزارة ذات يوم، فهل
ا المستقبل البراق اللامع هو الذى استهوى روزمارى؟! يقيناً أنها لم
ن تحب الرجل ـ لذاته ـ كل هذا الحب العميق.. فهو فى ذاته بارد،
تعجرف، ولكن يقال إن زوجته تهيم به غراماً.. وأنها تزوجته رغم
ادة أسرتها العريقة التى تراه مجرد انسان عادى واسع الآمال.

ولكن.. إذا كانت فتاة جميلة من أسرة عريقة قد أحبته برغم أنف الجميع، فلماذا لا تجن به فتاة أو امرأة أخرى مثل روزمارى؟!

نعم.. لا شك أنه ستيفن فاراداى. لأنه إذا لم يكن هو، فلن يكون الحبيب المجهول غير صاحب الاسم الثانى.. آنتونى براون.حقاً لقد أنتونى - عبداً - لروزمارى.. تحت أمرها دائماً.. وهو أيضاً جميل وسيم مرح لطيف المعشر.. ولكن غرامه بها كان واضحاً.. وكان فى وضوحه سطحياً لا عمق فيه ولا ثبات.

ومع هذا فقد اختفى عقب مأساة روزمارى.. فلم تره إيريس أو جورج مرة واحدة بعد المأساة.. فلماذا؟!

لقد سمعت أنه كثير الأسفار، وكان يكثر الحديث عن البلاد التى شاهدها كالأرجنتين، وكندا، وأوغندا والولايات المتحدة، وإن إيريس لتظن أنه أمريكى أو كندى رغم سلامة نطقه للغة الإنجليزية الصميمة.. وإذا كان هو قد امتنع عن زيارتهما بعد مأساة روزمارى، فهذا تصرف طبيعى منه.. فقد كانت روزمارى صديقته.. ولم يكن يحضر الى المنزل إلا من أجلها.. نعم.. كان صديقها.. صديقها فقط.. إن إيريس لا تريد أن تفكر فيه على أنه حبيبها.. أبداً.. إن مجرد هذا الخاطر يؤلمها.. يؤلمها جداً.

ونظرت الى الرسالة فى يدها، وخطر لها أن تلقى بها.. أن تحرقها.. ولكنها امتنعت غريزياً عن إحراقها.

فقد تكون لهذه الرسالة أهمية كبرى ذات يوم وبسطتها برفق، ثم طوتها، وأودعتها علبة مصاغها الخاصة، وأغلقت عليها بالقفل. فمن المحتمل أن تحتاج اليها ذات يوم ليعرف الجميع لماذا انتحرت روزمارى.

والآن.. مـاذا بعـد الرسـالة؟! هكذا سـألت إيريس نفسـهـا وهى تجوس بذهنها فى ذكريات الماضى القريب لقد عرفت بعد اجتماعها أمس بجورج بارتون فى غرفة مكتبه سر تلك الحالة التى طرأت عليها منذ أشهر.. حالة الذهول وشرود الذهن والتوتر العصبى والتصرفات الغامضة.

ولقد رأت أيضا آنتونى براون بعد غيبته الطويلة عقب المأساة.. ولعل ظهور آنتونى المفاجىء، هو الأولى بالتفكير وهى تجوس خلال الذكريات لقد التقت به بعد عثورها على رسالة الحب بأسبوع.

وإن إيريس لتتذكر هذا اللقاء المفاجىء فى شىء من الانفعال العاطفى. لقد ماتت روزمارى فى شهر نوفمبر.. وبعد ستة أشهر.. أى فى شهر مايو، بدأت إيريس أول خطوة فى الحياة الاجتماعية كفتاة بلغت الثامنة عشرة من عمرها.. وقد بدأت خطواتها الاجتماعية الأولى فى حماية عمتها مسز دريك.. فقبلت الدعوات لطعام الغداء، ولحفلات الشاى، وللسهرات الراقصة.. ولكنها، مع هذا، لم تشعر بالبهجة التى كانت تتوقعها.. وقد حدث أن كانت تشعر بالملل فى حفلة راقصة فى أواخر شهر يونيه حين سمعت صوتا وراءها يقول:

- إنها إيريس مارل.. أليس كذلك؟

واستدارت بوجه مضطرم لترى أمامها آنتونى.. آنتونى براون بوسامته وخفة ظله.. وعاد يقول:

- لا أتوقع أن تتذكرينى.. ولكن..

- أوه.. ولكنى أتذكرك.. حقاً..

ـ عظيم.. كنت أخشى أن تنسينى.. فقد مضت فترة طويلة منذ رأيتك آخر مرة.

ـ نعم.. منذ حفلة عيد ميلاد روزمارى التى..

وتوقفت بسرعة.. فقد كانت تتحدث بمرح دون أن تدرى.. وانحسرت الدماء عن وجهها فاذا هو أبيض شديد الامتقاع.. وارتعدت شفتاها، واتسعت عيناها من فرط الشعور بالخجل والارتباك والحرج.

فما كان يليق أن تتحدث بمرح عن حفلة عيد ميلاد أختها التى انتهت بوفاتها وأسرع أنتونى يقول:

ـ إننى آسف.. فما كان ينبغى أن أذكرك.

ـ حسنا.. حسنا...

« انها لا تريد أن تتذكر حفلة عيد ميلاد أختها التى انتهت بوفاتها.. لا تريد.. أبداً» عاد أنتونى يقول:

ـ إذا كنت قد غفرت لى، فهل تسمحين بالرقص معى؟!

فأومأت برأسها وانطلقت تراقصه وهى تشعر بمزيج من البهجة والقلق. البهجة لمراقصته، والقلق من ذكريات الماضى. أليس هذا أنتونى براون. صديق روزمارى صاحب هذه الرسالة الملتهبة التى كتبتها وترسلها اليه؟ أليس فى رشاقته، وخفة حركاته، وقوة عضلاته، ما يتفق مع الاسم المستعار ليوبارد ـ الفهد ـ الذى أطلقته عليه روزمارى؟!

وسألته فجأة فى صوت حاد:

- أين كنت خلال هذه الفترة الطويلة؟!

فنظر اليها برهة فى غير ابتسام وقال:

- كنت مسافراً.. لأعمال خاصة.

- ولماذا جئت؟!

فابتسم قائلا:

- لعلى جئت لأراك يا إيريس مارل. وضمها الى صدره، وراح يرقص معها فى رشاقة وحرارة ملأت نفسها بالبهجة والسعادة فى تلك الحفلة. ومنذ ذلك الحين أصبح أنتونى براون جزءاً من حياتها. فقد كانت تراه مرة فى كل أسبوع على الأقل.

كانت تلقاه فى الحديقة العامة.. هايدبارك.. وفى الحفلات الراقصة.. وفى المطاعم الفاخرة. ولكنه لم يحاول ذات مرة أن يزورها فى منزل إلفاستون سكوير.. فلما لاحظت تجنبه زيارتها فى المنزل دعته بنفسها للزيارة، فاعتذر برفق. ومن ثم أدركت أنه لا يريد أن يحضر إلى المنزل.. فلماذا؟!

وللمرة الأولى تدخل جورج بارتون - الطيب القلب - فى شئونها الخاصة حين سألها ذات يوم قائلا:

- من هذا الشاب، أنتونى براون، الذى تلتقين به كثيرا فى هذه الأيام؟ ماذا تعرفين عنه؟!

ونظرت إيريس فى دهشة بالغة الى جورج، ثم تمتمت قائلة:

- ماذا أعرف عنه؟!. عجبا! ألم يكن من أصدقاء روزمارى؟!

فطرف جورج بعينيه، وقطب جبينه ثم قال بصوت ثقيل:

ـ نعم.. كان طبعاً...

ـ أوه.. إننى جد آسفة.. ما كان ينبغى أن أذكرك.

ـ لا.. لا.. اننى لا أريد أن ينساها أحد.. أبداً.. لا تنسى أن اسمها على اسم الزهرة «روزمارى» ومعناها.. الذكرى.. وإنى أرجو يا إيريس ألا تنسى أختك.. أبداً.

فكتمت أنفاسها ثم قالت: ـ لن أنساها أبداً.

ـ ولكن هذا الشاب، أنتونى براون... لعل روزمارى قد مالت اليه كصديق، ولكنى أعتقد أنها لم تكن تعرف عنه شيئاً.. يجب أن تكونى على حذر فى علاقات الشبان بك.. فأنت الآن موفورة الثراء.

فشعرت إيريس بنيران الغضب تشتعل فى أعماق نفسها، ومن ثم قالت:

ـ إن أنتونى ليس فقيراً.. إنه واسع الثراء.. إنه يقيم فى فندق الكلاريدج كلما جاء الى لندن.

ـ إنه فندق فاخر لا ينزل به إلا الأثرياء والكبراء حقاً.. ولكن.. هذا لا يمنع طبعاً من أن تكونى دائماً على حذر.. فليس هناك من يعرف الشىء الكثير عن هذا الشاب.

ـ إنه أمريكى.

ـ ربما.. ولكنه لا يأتى لزيارتك هنا.. أليس كذلك؟!

ـ طبعاً.. كيف يأتى وأنت تشك فى أمره وتحذرنى منه! لقد عرفت الآن سر امتناعه عن زيارتى هنا.

- إننى فقط أريد أن أحذرك من الوقوع فى مخالب صيادى الثروات.. وأريد فى نفس الوقت أن تستمتعى بحياتك كما يحلو لك.

- إننى أستمتع بحياتى فعلا.. أؤكد لك.

- حسنا جداً.. افعلى كل ما يحلو لك فى حدود التقاليد الاجتماعية، ولا تقيمى وزناً للمصروفات، فإن المال كثير.. أكثر مما تحتاجين.. أما من جهة أنتونى، فسوف أوصى عمتك لوسيلا أعنى مسز دريك لكى تراقبه بعناية كلما التقيت به.

ولكن القدر شاء أن يتدخل عندئذ ويرسل الى مسز دريك ما يشغل تفكيرها، ويثير القلق فى نفسها، ذلك أن ابنها المدلل، قرة عينها، أرسل اليها برقية يقول فيها:

«هل يمكن إرسال مائتى جنيه؟. الحالة حرجة جداً.. مسألة موت أو حياة - فيكتور».

وبكت لوسيلا.. وقالت لجورج بارتون وإيريس!

- إن فكتور شريف فى معاملتى دائما.. إنه لا يلجأ إلى إلا فى أوقات الشدة والحرج، وأنا أخشى أن يقتل نفسه يوماً..

فقال جورج: - لا يمكن أن يقتل فكتور نفسه.

- إنك لا تعرفه.. وأنا أمه.. وأعرفه تماماً لأنه ابنى.. إننى لن أغفر لنفسى إذا لم أسعفه فى الشدائد.. لسوف أبيع بعض الأسهم والسندات لأرسل اليه المبلغ.

- اسمعى يا لوسيلا.. لسوف أتبين الحقيقة بارسال برقية الى أحد عملائى هناك، وسوف يخبرنا بجلية الأمر.. ولسوف أطلب من

ـكرتيرتى روث إرسال البرقية، وغداً نعرف الحقيقة كلها.

ووافقت لوسيلا. وكذلك وافقت على أن يرسل جورج لابنها
خمسين جنيهاً بدلا من مائتين.. وكانت إيريس تعلم أنه أرسل المبلغ
ـن ماله الخاص رغم تظاهره بأنه باع بعض أسهم لوسيلا.. وأعربت
ـه عن إعجابها بكرمه، فقال لها ببساطة:

- إن الأمر بسيط.. فليس فكتور إلا الابن الفاسد فى الأسرة.. ولا
ندوحة لنا من احتماله حتى يموت.

- ولكنك غير مكلف باحتماله.. إنه ليس فرداً فى أسرتك.

- إن أسرة روزمارى هى أسرتى.

- إنك شهم نبيل يا جورج.. ولكن.. من الأوفق أن ترسل هذا المبلغ
ن مالى، فأنا كما قلت لى موفورة الثراء.

فابتسم فى بساطة وقال:

- لا أستطيع أن أقطع من أموالك مثل هذه المبالغ إلا بعد أن
لغى الواحدة والعشرين من العمر.. وعندما تبلغين هذه السن،
يحسن بك ألا ترسلى لفكتور شيئاً وإلا استمر الحال وراح يبتز
أموال منك بطريقة أو بأخرى.. وبهذه المناسبة إذا أرسل شخص
ل فكتور فى طلب مائتى جنيه فتأكدى أنه سيرضى بالحصول على
شرين أو عشرة، وبطبيعة الحال لن تستطيعى أن تمنعى أمه من أن
يع كل ممتلكاتها من أجله.. ولكن تأكدى أن أمثال فكتور لا يقتلون
سهم مهما تكن الظروف.

وهكذا شغلت العمة لوسيلا بابنها عن مراقبة أنتونى براون فى

أثناء خروجه مع إيريس. حسناً.. وماذا بعد هذا؟!

ماذا عن حالة جورج المضطربة فى الأشهر الأخيرة..؟! إن إيريس تحاول أن تتذكر متى بدأ جورج يبدو فى حالة اضطراب وارتباك وذهول وتوتر عصبى.. حقاً لقد كانت تعتريه نوبات من الحزن والانقباض عقب وفاة روزمارى.. وكان يبدو كأنما كبر فجأة وازداد بطئا فى الحركة والتفكير.. وهذا أمر طبيعى.. ولكن.. متى بدأت حالة الذهول والاضطراب تبدو عليه بشكل غير طبيعى؟!

وقد لاحظت أنه ـ بعد حديثه معها عن أنتونى براون ـ اخذ يحدق النظر اليها فى شىء من الذهول والاضطراب والحيرة.. ثم تعود أخيرا على العودة من المكتب مبكرا فى المساء، ليغلق باب غرفته الخاصة على نفسه، ويبقى جالساً فى سكون لا يكاد يعمل شيئاً. فقد حدث أن دخلت عليه ذات مرة فوجدته جالساً شارد النظرات ذاهل التفكير.. وقد نظر اليها وهى تدخل وكأنه لا يراها.. وهكذا بدا لها كأنما هو يعانى من صدمة نفسية أو عصبية، فلما سألته عما به، أجاب فى اقتضاب «لا شىء».

ومرت الأيام على هذا الحال.. ثم بدأ يلقى أسئلة عجيبة شاذة على من حوله، وعندئذ أدركت إيريس أن حالته «غير طبيعية».

قال لها ذات يوم:

ـ اسمعى يا إيريس.. ألم تكمن روزمارى تتحدث اليك كثيراً؟!

فنظرت اليه بدهشة وقالت:

ـ عجباً!! طبعاً يا جورج.. على الأقل ـ حسناً عن أى شىء تسأل؟

- هل حدثتك عن.. عن نفسها.. عواطفها.. أصدقائها.. عن أحوالها الخاصة وهل كانت سعيدة أو شقية.. وما إلى هذا..!!

خطر لإيريس حينئذ أن جورج قد عرف - بطريقة ما - غرام روزماري بذلك الحبيب المجهول، ومن ثم قالت في حذر:

- إنها لم تكن تتحدث كثيراً.. كانت مشغولة دائماً بشئونها الخاصة.

- وكنت أنت صبية غريرة طبعاً.. نعم.. لم يكن معقولا أن تفضي اليك بعواطفها الخاصة.. حسناً. وفي مرة أخرى سألها فجأة عن أعز صديقات روزماري، فقالت له:

- جلوريا كنج.. ومسز آتويل.. ميزي آتويل.. وجيان ريموند.

- هل تعتقدين أنها كانت تفضي الى أية واحدة منهن بمشاعرها الخاصة؟!

- لا أدري.. ولكن لماذا؟.. أية مشاعر تعني؟!

- ألم تذكر روزماري في وقت ما أنها خائفة.

- خائفة؟!!

- أعني هل كان لروزماري أعداء؟!

- أعداء بين معارفها من السيدات؟

- لا.. أعداء حقيقيين.. أعداء كانوا يعملون للقضاء عليها.

- أهذا معقول؟!

وبعد يومين، عاد يسألها عن علاقة روزماري بآل فراداي، قائلا:

- هل كان ستيفن فراداى وزوجته من الأصدقاء الخصوصيين لروزمارى؟!

- لا أدرى على وجه التحديد.. أعتقد فقط أن روزمارى كانت تهتم فى الأشهر السابقة على وفاتها بالشئون السياسية.

- نعم بعد أن تقابلت مع آل فراداى فى سويسرا.. أما قبل هذا فلم تهتم مطلقاً بالسياسة.

- أعتقد أن ستيفن هو الذى أثار اهتمامها بالشئون السياسية

- وكيف كانت علاقة روزمارى بزوجته ساندرا؟!

- أظن أنها كانت علاقة فاترة بعض الشىء.. فقد كانت روزمارى تضحك ساخرة من ساندرا قائلة إنها كالحصان المحشو بالسياسة.

وصمت جورج برهة قبل أن يسأل فجأة:

- ألا تزالين ترين أنتونى براون كثيراً؟

- نعم..

- لقد شاهد كثيراً من بلدان العالم.. ولا شك أن حديثه مثير وممتع فهل حدثك عن مشاهدته؟!

- قليلا..

- ألم يخبرك عن سبب رحلاته المتعددة الى الخارج؟

- لا.. لا..

- أهى رحلات تتعلق بأعماله الخاصة؟

- لم يقل لى شيئاً..

- ألم يخبرك بأن أعماله تتعلق بشئون التسليح الأوروبى ومصا
الذخيرة والطائرات؟

- لا..

- حسناً.. لا داعى لأن تذكرى له أنى سألتك عنه.. كل ما فى الأ
أنى علمت أنه كان ضيفاً على اللورد ديوزيرى فى الخريف الماضى
واللورد ديوزبرى هو رئيس مجلس إدارة إتحاد الصناعات الحربية
وقد كانت روزمارى كثيرة الاتصال بأنتونى براون.. أليس كذلك؟!

- نعم.. أعتقد هذا.

- ولكنها لم تكن تعرف عنه الشىء الكثير.. كان مجرد صد
عادى يخرج معها للحفلات.

- نعم..

- وأعترف أنى دهشت حين أصرت على أن يكون بين المدعوين ف
حفلة عيد ميلادها.. لم أكن أعرف أن علاقتها به وطيدة الى هذا الحد

- إنه راقص بارع.

- نعم.. نعم..

وفجأة أخذت ذكريات ما حدث فى تلك الليلة تمر بذهن إيريس
رغما عنها: المائدة المستديرة بمطعم اللكسمبرج الفاخر.. الأضو
الظليلة الملونة.. الأزهار.. الموسيقى الراقصة بإيقاعها الرتيب
الأشخاص السبعة الجالسون حول المائدة: هى، وأنتونى براو

زماری، وستيفن فاراداى، وروث ليسنج - سكرتيرة جورج - ثم
ج، وعلى يمينه ليدى الكسندرا فاراداى بشعرها الشاحب المستقيم،
ها الأقنى، وصوتها الواضح الرنان..

وكانت البهجة تشيع بينهم جميعاً.. أو هكذا خيل لكل من رآهم.
، وسط الجميع كانت روزماری.. أوه.. لا.. لا يحسن أن تفكر فى
.. بل يحسن أن تفكر فى نفسها وهى جالسة بجانب أنتونى..
د كانت تلك أول مرة تراه وتجلس بجانبه، أما قبل هذا، فكان
رد إسم.. شبحاً يقف فى الردهة ليصحب روزمارى الى الخارج..
سيارة التاكسى المنتظرة أمام الباب.

أنتونى... وأفاقت من ذكرياتها على صوت جورج وهو يكرر سؤاله قائلاً:
، بواعث العجب أنه اختفى عقب المأساة.. ألم يخبرك أين ذهب؟!

- أظن أنه ذهب الى سيلان أو الهند.

- ألم يخبرك فى تلك الليلة عن عزمه للرحيل!

- ولماذا يفعل..؟! ولماذا تثير ذكريات تلك الليلة المؤلمة؟! فاضطرم
ـه بحمرة الارتباك وقال:

- لا.. لا.. إننى جد آسف.. حسناً.. أرجو منك أن تدعى أنتونى
ن لتناول العشاء معنا ذات ليلة.. فإنى أريد أن أتحدث اليه مرة
ى.. وسرت إيريس بهذا الموقف الجديد لجورج نحو أنتونى.. لا
، أنه قد وافق أخيراً على صداقتها لهذا الشاب الجذاب، وأن
ـد له الطريق، بهذه الدعوة، ليتردد على البيت.. وقد قبل أنتونى
ـوة فى تحفظ، ثم اعتذر فى آخر لحظة قائلا إنه مسافر فى
ة عاجلة نحو الشمال.

وفى ذات يوم من أواخر شهر يولية، فاجأ جورج كلا من إيريس ومسز دريك - لوسيلا - بقوله إنه اشترى بيتاً فى الريف.. بيتاً صغيراً أنيقاً لقضاء عطلات نهاية الأسبوع طول العام، فلما سئل عن موقعه، قال إنه بمقاطعة سسكس، مركز مارلنجهام، بلدة ليتل برايور.. وذكر أن للمنزل حديقة واسعة، أو مزرعة صغيرة، مساحتها اثنا عشر فداناً .. وأنه اشتراه فى صفقة نادرة. وقالت مسز دريك فى امتعاض:

- أعتقد أنه سيحتاج الى كثير من الترتيب والتنظيم وإعداد المفروشات اللازمة.

- لا.. لا.. لقد قامت روث بهذه المهمة فى نجاح

وكانت إيريس ومسز دريك تعلمان أن روث ليست سكرتيرة جورج فحسب، وإنما يده اليمنى فى إدارة أعماله لما تمتاز به من كفاءة ومقدرة وبراعة فى تصريف الأمور.

وكانت روزمارى تقول دائماً كلما واجهت مشكلة: «اتركوا هذا الأمر لروث.. إنها رائعة.. وهى قادرة على معالجته».

وهكذا كانت كل عقبة أو مشكلة تحل بأصابع روث ليسنج الناعمة، وابتسامتها الآسرة، وهدوء أعصابها المثير.. وكانت تدير مكتب جورج، ويقال إنها تدير جورج نفسه، فكان هو يعتمد عليها فى كل صغيرة وكبيرة، وكانت هى تتفانى فى العمل معه، دون أمل فى مغنم شخصى أو طمع فى فوائد ذاتية..

وعاد جورج يقول عن المنزل:

- إن به ملعباً للتنس، وآخر للجولف، يبعد عن شاطىء البحر

بأربعة عشر ميلا.. وعلى مقربة منه جيران معروفون لنا.. فمن الحكمة دائماً أن يقيم الانسان بين جيران معروفين.

فقالت إيريس فى جفاء: - أى جيران تعنى؟!

- آل فراداى.. إنهم يقيمون على مسافة ميل ونصف فقط من المنزل فنظرت إيريس اليه فى دهشة وقد أدركت أنه لم يشتر هذا المنزل الا لغرض فى نفسه. لقد اشتراه ليكون قريباً من آل فراداى..! فماذا يريد منهما؟! هل عرف بطريقة ما أن ستيفن فراداى هو الحبيب المجهول لروزمارى؟! وإذا كان قد عرف فماذا يريد أن يفعل؟! ولماذا يلجأ الى هذه الوسيلة الباهظة التكاليف للاتصال بالزوجين؟!

وقضى الجميع، إيريس ومسز دريك وجورك وروث والخدم، بقية شهر يولية، وشهر أغسطس، فى منزل لتيل برايور.. وكانت الحياة فيه، بالنسبة لإيريس، مملة مثيرة للضيق والانقباض رغم مباريات التنس، وحفلات الغداء أو العشاء التى كان يدعى اليها ستيفن فراداى وزوجته.. وكانت زوجته - ساندرا - مهذبة فى علاقتها بهم كجيران.. إذ قامت بمهمة تعريف بقية أهل البلدة من الأعيان بهم، واسداء النصائح لهم عن المعيشة فى الريف والعناية بالجياد. ولكنها ظلت، وراء قناع ابتسامتها المهذبة، غامضة كأبى الهول، لا يعرف أحد حقيقة ما يدور بنفسها.

وانصرم شهر أغسطس، ثم شهر سبتمبر، وقرر جورج العودة الى لندن عند حلول شهر اكتوبر. وتنهدت إيريس فى ارتياح وهى تأمل أن يسترد جورج حالته الطبيعية بعد عودته الى لندن.

ولكنها، فى الليلة الماضية، استيقظت على نقر خفيف على باب

غرفتها، وأضاءت المصباح الكهربائى، ونظرت فى الساعة، فإذا هى الواحدة بعد منتصف الليل، وكانت قد أوت الى فراشها فى منتصف الحادية عشرة. وارتدت معطفها المنزلى، وفتحت الباب.. ورأت جورج بارتون واقفاً مرتدياً بذلته، مربد الوجه، لاهث الأنفاس، يقول فى صوت مرتعد:

- تعالى يا إيريس الى غرفة مكتبى.. فإنى أريد أن أتحدث اليك.. الى أى إنسان.

فأطاعت رغبته وهى لا تزال مترنحة ببقايا النوم. وأغلق جورج باب غرفة المكتب من الداخل، وأشار لها بالجلوس فى الجانب المواجه له من المكتب، وقدم لها علبة السجائر، وأشعل لنفسه واحدة، ثم قال بوجه شاحب شديد الاضطراب:

- إننى لم أعد قادراً على احتمال العبء.. السر وحدى.. وعليك أن تساعدينى.. أن تخبرينى.. هل هذا ما حدث.. هل يمكن أن يحدث هذا؟!

- إننى لا أكاد أفهم شيئاً يا جورج.

فتناول من أحد أدراج مكتبه ورقتين.. رسالتين.. عليهما كلمات مكتوبة بآلة كاتبة، وقال وهو يقدمهما الى ايريس:

- اقرئى هاتين الرسالتين.

ونظرت إيريس فى دهشة فى الرسالة الأولى حيث قرأت بوضوح ما يلى: «أنت تعتقد أن زوجتك ماتت منتحرة.. لا.. إنها لم تنتحر.. إنها ماتت.. مقتولة».

وكانت الرسالة الثانية كما يلى: «إن زوجتك لم تنتحر.. وإنما قتلت»

وظلت إيريس تحدق النظر فى كلمات الرسالتين دون أن تتفوه بحرف، فقال جورج:

- استلمت هاتين الرسالتين منذ ثلاثة أشهر.. وظننت فى أول الأمر أنها دعابة سمجة من شخص تافه.. ولكنى شرعت أفكر لماذا تقتل روزمارى نفسها؟!

فقالت إيريس بصوت آلى:

- نتيجة للانقباض النفسى الشديد الذى يعقب الاصابة بأنفلونزا حادة.

- ولكن آلاف الناس يعانون مثل هذا الانقباض بعد الأنفلونزا دون أن يفكروا مجرد تفكير فى الانتحار.

- لعلها كانت غير سعيدة!

- نعم.. ربما.. ولكنى لا أعتقد أبداً أن روزمارى تقتل نفسها لأنها غير سعيدة فى حياتها معى.. من المحتمل أن تهدد بالانتحار لتظفر بما تريد.. أما أن تنتحر فعلا، فلا.

- ولكن هذا ما حدث فعلا يا جورج.. ألم يجدوا بقية السم فى حقيبة يدها؟!

- نعم.. هذا ما جعل الجميع يعتقدون أنها انتحرت.. ولكنى منذ استلمت هاتين الرسالتين من المرسل المجهول، بدأت أفكر فى الأمر جدياً.. وكلما أمعنت فى التفكير، ازددت يقيناً بأن روزمارى لم تقتل نفسها.. وهذا هو سبب حالتى الشاذة خلال الشهور الثلاثة الأخيرة، وسبب أسئلتى لك عن أعداء روزمارى.. وعن أى شىء ينم عن

شعورها بالخوف من أحد.. فلا شك أن هناك باعثاً على القتل.. لا شك أنها قتلت لسبب ما.

ـ عجباً يا جورج..!! ما هذا الذى تقول؟!

ـ قد أبدو لك مخرفاً.. ولكنى واثق أن فى مأساة روزمارى سراً يجب أن أهتدى إليه وأريد منك أن تساعدينى.. يجب أن تفكرى.. أن تتذكرى.. حاولى أن تتذكرى كل ما حدث فى تلك الليلة، لأنها إذا كانت قتلت، فإن قاتلها لابد وأن يكون واحداً ممن كانوا حول المائدة!؟ أليس كذلك؟

نعم.. يجب أن تتذكر.. إنها لن تستطيع أن تتجنب التفكير فى ذلك المنظر الرهيب بعد الآن، يجب أن تتذكر كل شىء: الموسيقى والأنوار التى خفتت.. فاصل الكباريه.. عودة الأنوار الى السطوع.. روزمارى ملقاة بنصفها الأعلى فوق المائدة وقد اربد وجهها والتوت ملامحها من فرط آلام السم..

وارتعدت إيريس بعنف.. إنها الآن تشعر بالخوف.. الخوف الرهيب.. وإن عليها أن تفكر.. أن تعود للذكرى.. فإن «روزمارى» معناها فى عالم الزهور.. الذكرى..

لقد أصبح النسيان مستحيلا..



روث ليسنج

وكانت روث ليسنج تذكر أيضاً
زوجة رئيسها: «روزمارى» .

كانت تذكرها فى فترات أثناء عملها فى مكتب زوجها: «جورج بارتون» وكانت تكرهها كثيراً.. كثيراً جداً.. ولم تستطع أن تحدد مبلغ كراهيتها لها إلا فى صباح ذلك اليوم من شهر نوفمبر الماضى، عندما كانت تتحدث الى فكتور دريك ابن لوسيلا دريك.

كانت مقابلتها لفكتور هى البداية لتلك السلسلة من الأفكار المسمومة نحو روزمارى. أما قبل هذا، فكانت تشعر فقط بكراهيتها لزوجة رئيسها.. بمجرد شعور فى عقلها الباطن.

كانت روث متفانية فى خدمة جورج منذ أول يوم عملت فيه معه.. وكانت يومذاك فتاة هادئة الأعصاب، فى الثالثة والعشرين من عمرها، تدرك بذكائها ان جورج يحتاج الى فتاة بارعة مثلها لتدير أعماله.. وتولت فعلا ادارة أعماله.. وأنقذته أكثر من مرة من الإفلاس والانهيار الاقتصادى.. لقد وفرت عليه وقته، وماله، ومتاعبه.. لقد اختارت له أصدقاءه، ووجهته الى الهوايات المناسبة، وحالت بينه وبين ركوب المغامرات المالية الفاشلة، ولم يحدث فى أية لحظة أن نظر اليها جورج إلا على أنها سكرتيرة ممتازة، قديرة،

مخلصة، مطيعة لأوامره ولكنه كان يشعر بالبهجة والسرور لمنظرها.. فهى دائما أنيقة، تعرف كيف تختار ملابسها بعناية، وكيف تبدو دائماً فى أكمل سمت دون أن تسرف فى تجميل وجهها أو تلفت الأنظار الى جمالها الخاص.

وهكذا أصبحت روث فى نظر جورج، أنموذجاً للسكرتيرة القديرة، الحسنة المظهر.

وكان يحب فيها استقامتها، وتجنبها للضعف الأنثوى، وابتعادها عن اثارة عواطفه نحوها كامرأة.. فكانت أحاديثها معه لا تتجاوز حدود العمل فقط.

ولم تحاول قط أن تتدخل فى شئونه الخاصة.. وهكذا لم يكن لها أى شأن فى زواجه من روزمارى.. لقد راحت تساعده فى إعداد البيت للزواج وهى، فى أعماق نفسها، كارهة لهذا الزواج!

واستغرقت فى ادارة أعمال رئيسها - بعد زواجه - وازدادت تفانياً وإخلاصاً فى خدمته حتى لفتت أنظار روزمارى اليها وجعلتها تدرك أنها - روث - الساعد الأيمن لزوجها ومديرة أعماله التى لا يستطيع الاستغناء عنها.

وكان جورج، وروزمارى، وإيريس يناودنها باسمها المجرد - روث - فى غير كلفة، ويدعونها لمشاركتهم طعام الغداء بمنزل إلفاستون سكوير.. وقد بلغت روث الآن التاسعة والعشرين - وإنها تبدو تماماً كما كانت فى الثالثة والعشرين.

وكانت تعرف أن جورج سيعود الى الاهتمام بها، وتقدير خدماتها بعد أن يفيق من نشوة الشهور الأولى للزواج.. ولكنه بعد هذه الأشهر الأولى، بدا شارد الفكر، زائغ النظرات، مضطرب المشاعر.

ولم تحاول هى أن تسأله عن سبب حالته هذه.. وشكر لها هو ـ فى نفسه ـ لباقتها وتحاشيها التدخل فى شئونه الخاصة.

وفى صباح ذلك اليوم من شهر نوفمبر، أى قبل أسبوع من الاحتفال بعيد ميلاد روزمارى، حدثها جورج عن فكتور دريك الابن المدلل الفاسد لمسز دريك، وقال لها:

ـ إن هذا الشاب، ابن عمة زوجتى، هو الابن الفاسد فى الأسرة.. لقد دللته أمه وأفسدت أخلاقه وأخشى أن تبيع الباقى من ممتلكاتها القليلة لتحقق مطالبه المالية التى لا تنقطع، وقد بدأ حياته الشريرة بتزوير شيك وهو طالب فى جامعة أكسفور، وقد تكتم المسئولون أمره، ثم أبعدوه الى خارج البلاد حيث فشل فى كل عمل قام به.

وبعد أن حدثها عن بعض المشروعات الفاشلة التى قام بها فكتور فى الخارج، قال: وقد عاد أخيراً الى لندن.. وتبينت أنه يثير القلق فى نفس زوجتى.. إنها لم تره منذ كانت تلميذة فى المدرسة.. ولكنه شاب لعين أفاق لم يكف عن إرسال الخطابات اليها فى طلب المال.. وأنا لن أقف مكتوف اليدين إزاء هذا الاستغلال المشين لثروة زوجتى.. ومن ثم اتفقت على مقابلته اليوم فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً فى الفندق الذى ينزل به.. وأريد منك أن تقابليه نيابة عنى، فأنا لم أره من قبل، ولا أريد أن أراه.. وكذلك لا أريد أن تراه روزمارى، ولهذا أعتقد أن فى الإمكان معالجة أمره عن طريق شخص ثالث.. مثلك.

ـ حسناً.. وماذا تريد منى أن أفعل؟

ـ إقنعيه بقبول مائة جنيه وتذكرة سفر الى بيونس ايريس على الباخرة التى ستبحر غداً.

ـ ما اسمه.. الكامل.؟

ـ فكتور دريك.. هذه هى تذكرة السفر.. إنها الباخرة سان كريستوبال التى ستبحر غداً من ميناء تالبرى.

ووضعت روث التذكرة فى حقيبة يدها ووعدت بمقابلة فكتور فى فندق روبرت بشارع روسل سكوير فى تمام الساعة الثانية عشرة.

ووضع جورج يده على كتف روث، لأول مرة فى حياته وقال فى حرارة وإخلاص: روث.. يا عزيزتى.. إننى لا أدرى ماذا كنت أفعل بدونك.. إنك يدى اليمنى.. جزء من نفسى.

واضطرم وجهها بحمرة السرور، ثم قالت ضاحكة:

ـ إنك ستدللنى بهذه العبارات الجميلة.

ـ أؤكد لك إنى صادق فيما أقول.. إنك جزء من نفسى.. ومن أعمالى.. والحياة بدونك مستحيلة.

وانصرفت روث عنه وهى تشعر بالبهجة والرضى لهذه الكلمات المشجعة، وظل شعورها بالبهجة يملأ عليها نفسها وهى فى طريقها لمقابلة فكتور دريك.. وكانت قد أعدت نفسها لسماع سلسلة من القصص التى سيسردها عليها ويبرر بها سوء حظه وتوالى فشل مشروعاته. وكانت هى خبيرة بهذا النوع من الشبان الفاشلين الذين يعنون بمظهرهم، ويبرعون فى تبرير «خيبة أملهم» بالأحاديث اللبقة المثيرة.. وقد صح ظنها حين رأت فكتور.. فقد وجدته واقفا بجانب النافذة فى غرفته من الفندق، أنيقاً معتنياً بمظهره، وسيما، جذاباً، يتحدث بلهجة مسرحية أخاذه.. قال لها:

ـ آه.. مبعوثة جورج بارتون.. يا لها من مفاجأة سارة.. مدهشة وعرضت عليه شروط جورج فى لهجة عملية باردة.. وتقبل هو هذه

الشروط فى حماسة وشكر، قائلا: مائة جنيه وتذكرة سفر الى بيونس ايرس.. يا له من كرم.. مسكين جورج.. إننى كنت على استعداد لقبول ستين جنيهاً فقط.. ولكن لا تخبريه! الشروط؟! ألا أتسبب فى قلق ابنة خالى روزمارى.؟ حسناً.. أكدى له إنى لن أكون مثار قلق لها، أبداً.. إننى موافق على جميع الشروط بدون قيد.. من الذى سيودعنى على ظهر السفينة؟ أنت؟! مدهش.. عظيم جداً.. هذا شرف لا أستحقه.. فما كنت أحلم يوماً أن تودعنى فتاة جميلة مثلك.

ثم صمت برهة ونظر اليها بعينيه السوداوين بالمرح والجاذبية، ثم قال: - هل تشتغلين مع جورج منذ فترة طويلة يا مس ليسنج؟!

- ست سنوات.

- وهو لا يعرف ماذا يمكن أن يفعل بدونك؟ نعم.. إنى أعرف كل شىء عنك يا مس ليسنج.. أعرف مقدرتك، وبراعتك، وتفانيك فى خدمته فقالت روث فى حدة: من أين تعرف؟!

- أخبرتنى روزمارى.

- روزمارى.. ولكن...

- حسناً.. لن أضايق روزمارى بعد اليوم.. لقد كانت دائماً كريمة معى.. عطوفاً على.. وقد ظفرت منها بمائة جنيه أخرى.. و..

- أنت؟!..

وضحك فكتور عالياً، ولم يسع روث إلا أن تضحك أيضاً ثم تقول:

- ما كان يليق أن تفعل هذا يا مستر دريك.

- ما ذنبى وقد خلقت هكذا.. هذه هى أسهل طريقة للحصول على المال من الأقارب الأثرياء. برقية بسيطة تحمل تهديداً أو تلميحاً

بالانتحار.. ثم يأتى المال مع الرد..!

ـ ألا تخجل من نفسك؟!

ـ إننى غير راض عن نفسى أبداً.. إننى شرير جداً يا مس ليسنج.. وأحب أن تتأكدى من هذه الحقيقة!.. إننى لا أستطيع أن أخدعك كما أخدع غيرك.. فإنك ذكية بارعة.. وأعتقد أنك لا تشعرين بالإشفاق أو الرثاء لأحد.

ـ إننى أحتقر الرثاء.. أحتقر الضعف والضعفاء.

ـ ومن قال إننى ضعيف..؟! إنك مخطئة فى هذا الظن.. إننى شرير.. ربما.. ولكنى لست ضعيفاً.. فأنا أستمتع بحياتى تماماً.. أستمتع بها كما أريد.. لقد اختبرت الحياة ورأيت الكثير من صورها، وقمت بالكثير من الأعمال المختلفة.. اشتغلت ممثلا، وأمين مخزن، وجرسوناً، وحمالا فى الميناء، وعاملا فى سيرك، وبحاراً فى سفن شراعية، ووقاداً فى سفن بخارية، ومديراً للدعاية فى انتخابات رئاسة الجمهورية بإحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية، ودخلت السجن لأسباب سياسية.. شيئان فقط لم أعملهما فى حياتى.. لم أحاول يوماً أن أقوم بعملى كما ينبغى.. ولم أدفع قرشاً لنفقات السفر من مكان الى مكان.

ونظر اليها ضاحكا.. وكان المنتظر أن تشعر بالاشمئزاز والتقزز منه.. ولكن طريقته فى الحديث، ولهجته المرحة، وبساطته، جعلتها تدرك أن له قوة الشيطان فى جعل الأشياء الشريرة تبدو جميلة أمام الناس.. هذا عدا جاذبيته الشخصية وجمال مظهره وعاد يقول لها:

ـ لا داعى لأن تنظرى الى هكذا يا روث.. فأنت لست مبرأة تماماً من كل عيب. وأعتقد أن عيبك الأساسى هو النجاح.. فأنت من النوع

الذى ينتهى دائماً بالزواج من الرئيس! وهذا ما كان يجب أن تفعلى مع جورج.. لم يكن لجورج أبداً أن يتزوج روزمارى.. بل كان الواجب أن يتزوج منك أنت.. وليس من شك فى أنك أصلح فتاة للزواج منه.

- ألا ترى أنك تجاوزت حدك؟!

- إن روزمارى غبية حمقاء.. هكذا كانت دائماً.. إنها جميلة كالزهرة، غبيه كالأرنب. إنها من نوع الحسناوات اللاتى يسبين ويأسرن الرجال بجمالهن.. ولكن دون أن يستطعن الاحتفاظ بهم طويلا.. أما أنت فأنك تختلفين.. يعلم الله أن الذى يحبك لا يستطيع أن يتحرر من حبك أبداً.. ولا يمكن أن يستغنى عنه يوماً.

وعندئذ قالت له بحرارة وإخلاص مفاجىء: ولكنه لم.. يحبنى.

- أتعنين جورج؟! لا تغالطى نفسك يا روث.. تأكدى أنه أدرك الحقيقة الآن، فلو حدث شىء لروزمارى، فإنه سيتزوج منك فوراً.

وقالت روث لنفسها «نعم.. هذه هى بداية تلك السلسلة من الأفكار المسمومة عن روزمارى».

وأردف فكتور قائلا وهو يرقبها بعناية:

- وأعتقد أنك تعرفين هذه الحقيقة كما أعرفها أنا.

وعادت تفكر لنفسها «يد جورج على كتفى.. صوته الممتلىء بالحرارة والاخلاص وهو يقول إننى أصبحت جزءاً من نفسه.. نعم.. نعم.. إنه يحبنى.. ولن يستطيع الاستغناء عنى».

وقال فكتور فى صوت رقيق: ينبغى أن تكون ثقتك فى نفسك أكثر من هذا يا عزيزتى.. فإن فى مقدورك أن تضعى جورج فى جيبك.. أما روزمارى فإنها مجرد وجه جميل وعقل أجوف.

وقالت روث لنفسها «نعم.. هذه هى الحقيقة.. لو لم تكن روزمارى فى طريقى، لتزوجت من جورج، ولجعلته أسعد إنسان فى الوجود».

وشعرت فجأة بنوبة من الغضب والحقد تشتعل فى أعماق نفسها.. وراح فكتور دريك يرقبها فى استمتاع.. فهو يحب دائماً أن يضع بذور الأفكار فى العقول ويتركها لتنمو وتزدهر، أو، فى هذه الحالة، يكشف الستار عن الأفكار الكامنة فى العقل الباطن!

نعم.. هكذا بدأت تلك السلسة من الأفكار المسمومة التى راحت تحز فى ذهن روث، وتشعل المزيد من نار الكراهية والحقد فى قلبها نحو روزمارى.

ولكنها كانت تعرف كيف تخفى مشاعرها الخاصة وراء تلك البسمة الجذابة التى لا تفارق شفتيها.

وبعد تلك المقابلة مع فكتور دريك مباشرة، اتصلت روزمارى بها تليفونياً فى مكتب زوجها وقالت لها: «هل جورج موجود بالمكتب يا روث؟».

ـ كلا.. هل أستطيع أن أؤدى لك أية خدمة ريثما يحضر؟!

ـ نعم يا روث.. إن ذلك الكلونيل الأحمق ريس أرسل برقية يعتذر فيها عن الحضور الى حفلة عيد ميلادى... وأريد أن أسأل جورج عن الشخص الذى سيحل محل الكلونيل فى الحفلة.. فنحن فى حاجة الى رجل لأننا الآن أربع سيدات: إيريس وأنا مسز فراداى.. ومن هى الرابعة؟

ـ أنا يا مسز بارتون.. ألم يقل لك المستر جورج إنه دعانى للحفلة؟..

ـ أوه.. حقاً.. لقد نسيت..!

وضحكت روزمارى فى مرح، ولكنها لم تر، وهى فى الجانب الآخر من أسلاك التليفون، وجه روث الذى نم عن الكراهية والحقد فى

أبشع صورة.

إنهـا دعـيت الى الحـفلة مـجـاملة لجـورج.. أليس كـذلك؟! ولهـذا نسـيتهـا روزمـارى تمامـاً.. إن روث أدركت فى تلك اللحظة الى أى حـد تكره روزمارى..

لقد كرهتها لأنها ثرية.. وجميلة.. ومستهترة.. وحمقاء.. وليست مـرغمـة على العمل الشـاق فى إدارة الأعمـال من أجل الرزق.. إن كل شىء فى الحياة يقدم اليها على صفحة من فضة.. المال.. والجمال والحب.. والزوج الوفى.. والبطالة.. والفراغ..

وقـالت روث ليـسنج بصـوت كـالفـحـيح لآلة التليـفـون: «أتمنى لو أراها.. ميتة».

وأفزعها صوتها.. ورنين كلماتها.. إنها لم تكن هكذا من قبل.. لم تكن عنيفة فى انفعـالاتها.. وفى عواطفها.. وإنما هادئة الأعـصـاب دائماً، متمالكة لزمام نفسها عادة.

وقـالت لنفسـهـا «مـاذا دهانى..؟ مـاذا جـرى لى..؟». لقـد كـرهت روزمـارى فى أصـيل ذلك اليوم.. ولا تـزال تكرهها حتى بعد انقـضـاء عام على وفاتها. ربما، فى يوم ما، تستطيع أن تنسى روزمـارى.. أمـا الآن.. فلا.

وفى صباح اليوم التالى، أعرب لهـا جورج عن عرفانه بـالجميل حين أخبرته أنها ودعت بنفسها فكتور دريك على ظهر البـاخرة سـان كريستابول المبحرة إلى بيونس ايريس.

- إذن فقد مضى.. ذهب أخيراً.

- نعم.. سلمته المبلغ قبيل رفع السلم عن الباخرة بلحظات.. وقد لوح لى بيده وأنا واقفة على رصيف الميناء قائلا إنه سيشرب بضعة

كؤوس نخب جورج بارتون.

- إنه شاب مستهتر.. ما رأيك عنه يا روث؟!

فقالت بصوت بارد كما أرادت أن يكون:

- لا شيء.. من نوع الرجال الضعفاء.

ولم ير جورج شيئاً.. ولم يلحظ شيئاً.. وأحست هى كأنما تريد أن تصيح باكية «لماذا أرسلتنى اليه..؟! ألم تكن تعرف أى شر سيبذره فى أعماق نفسى؟!.. ألم تلحظ أننى تغيرت كثيراً عما كنت عليه أمس حتى لكأنى شخص آخر..؟ ألا ترى أنى أصبحت شديدة الخطر الآن..! ألا ترى الى أى حد أثرت هذه المقابلة فى نفسى؟».

وبدلا من هذا كله، قالت بلهجتها العملية الإدارية:

- والآن.. ما رأيك فى الرسالة الواردة من سان بدرو؟..

إنها الآن السكرتيرة الحازمة، القديرة. وبعد خمسة أيام.. كانت حفلة عيد ميلاد روزمارى.

وكان يوماً فى الصباح عادياً.. زيارة للحلاق، ارتداء الثوب الجديد، تجميل الوجه الى حد ما بفندق الزينة.. وجهها فى المرآة يبدو كأنه ليس وجهها تماماً.. فهو يطالعها بأمارات تنم عن المرارة، والعزم ، والقسوة.

وأخيراً.. منظر روزمارى ووجهها الأزرق المسموم وهى تختلج فى اللحظات الأخيرة من عمرها! إنها.. بعد أحد عشر شهراً، تشعر بخوف مفاجىء وهى تفكر فى روزمارى.

آنتونى براون

كـان آنتـونـى براون يقطب جـبـينه للأفق البـعـيـد وهـو يفكر فـى روزمـارى.. لا شك أنه كـان أحـمق حين اتصل بها..

ولكنه - كرجل - له بعض العذر.. فقد كانت جميلة ترتاح العين لمنظرها.. بل إنه لم يستطع أن يرفع عينيه عنها حين رآها أول مرة.. كانت جميلة كدمية.. عذبة كزهرة فواحة العبير.

لقد أحبها من أول نظرة حباً عميقاً جازفاً.. وبذل كل ما يستطيع من جهد فى تلك السهرة ليعثر على أحد يقدمه اليها.. وكان يشعر فى أعماق نفسه بأن الواجب يحتم عليه بذل هذا الجهد للعناية بالعمل المكلف به.

ولكن جمال روزمارى كان أقوى من كل شعور بالواجب.. إنه لم يهمل عمله تماماً بطبيعة الحال، ولكنه كرس جزءاً من وقته لهذه الحسناء التى وقع فى غرامها، وكان الأجدر به أن يكرس كل وقته للمهمة التى كلف بها.. إن اعجابه بها عندما تعرف اليها وأنصت الى

حديثها لأول مرة.. وتبخر مع نصف الاعجاب، كل الحب.. إنه لم يكن حباً بالمعنى الصحيح.. وإنما كان نزوة عابرة أثارتها فتنة روزمارى الظاهرية.. ولم تتجاوز علاقته بها غير قضاء بضعة أشهر ممتعة فى صحبتها.. لا أكثر.

حسناً.. لقد تمتع بهذه الأشهر.. وكذلك استمتعت روزمارى بها، فقد كانت ترقص كملاك، وتصبح دائماً موضع أنظار الجميع فى كل مكان يحضره معها.

كانت جميلة تماماً فى صمتها.. فإذا شرعت فى الحديث ضاع ثلاثة أرباع الجمال، وقد كان أنتونى يحمد الله لأنه لم يكن زوجاً لها.. وإلا كيف كان يعيش معها بعد أن يزول أثر الجمال فى النفس بطول المعاشرة، ولا تبقى إلا الحماقة والغباء وتفاهة التفكير، وضحالة الشعور؟!

إنها إحدى النساء اللاتى يردن من الأزواج أن يقولوا لهن فى كل ساعة، فى كل يوم.. كم هى جميلة.. وكم هو يحبها.

إنه يفكر فى هذا كله الآن ولكنه كان مستغرقاً فى حبها الى أذنيه يوم ذاك. كان ينتظر إشارة منها.. ويتصل بها تليفونياً، ويرقص معها! ويقبلها فى التاكسى، ويرتكب كل أنواع الحماقات من أجلها.. وبقى على هذا الحال حتى ذلك اليوم الذى فوجىء فيه بتلك المحادثة التى جرت بينهما.

قالت له وهى تحدق النظر فيه بعينيها الجميلتين:

ـ آنتونى براون.. إنه اسم جميل.!

ـ نعم.. أعتقد أنى حفيد آنتونى براون الذى كان تشريفاتياً فى قصر الملك هنرى الثامن.

ـ حفيده الانجليزى.. أم الإيطالى؟!

فضحك قائلا:

أتقولين هذا بسبب لون بشرتى الخمرى.. إن أمى اسبانية الأصل.

ـ إذن هذا هو السر.

ـ أى سر تعنين.

ـ السر الذى تعرفه يامستر انتونى براون.

يبدو انك مغرم جداً باسمى.

ـ إنه على كل حال افضل من إسمك الأول آنتونى موريللى وأبى أن يصدق أذنيه برهة.. إن هذا مستحيل.. مستحيل وأمسك بذراعها فجأة فى عنف جعلها تحفل ثم قال:

ـ من أين عرفت هذا الاسم؟!

فضحكت فى مرح وقالت:

ـ أخبرنى به شخص يعرفك.

ـ من هو.. إن هذا أمر خطير يا روزمارى.. يجب أن أعرف فأرسلت اليه نظرة جانبية ماكرة وقالت:

ـ إبن عمتى.. الشاب الفاسد.. فكتور دريك.

ـ إننى لم ألتق أبداً بشخص يحمل هذا الاسم.

- لعله كان منتحلا إسماً آخر أيام اتصاله بك لكى يحافظ على سمعة الأسرة فقال آنتونى ببطء:

- آه.. فهمت.. كان يعرفنى إذن فى السجن.

- نعم.. كنت أعنف فكتور على سوء أخلاقه وأقول له إنه وصمة عار فى جبين الأسرة فابتسم فى خبث وقال لى: «وأنت يا عزيزتى؟ هل تحسنين اختيار أصدقائك.. لقد رأيتك تراقصين شاباً من أرباب السوابق.. وقد عرفت أنه صديق لك يزعم أن إسمه آنتونى براون بينما اسمه الحقيقى آنتونى موريللى».

فقال آنتونى وهو يبتسم:

- إذن يجب أن أجدد صداقتى بزميلى السابق فى السجن.. فإن زملاء السجون يجب أن يكونوا يداً واحدة.

- فات الوقت.. لقد رحلناه أمس الى أمريكا الجنوبية.

فتنهد آنتونى فى عمق وقال:

- آه.. إذن فأنت الآن فقط التى تعرف اسمى الحقيقى؟!

- إطمئن.. إننى لن أفشى هذا السر لأحد.

فقال فى صوت جاد حاسم:

- إسمعى.. إن معرفتك لإسمى الحقيقى أمر جد خطير.. هل تريدين أن تشوهى جمال وجهك بالسكاكين والأحماض القاتلة.؟! إن هناك بعض الناس الذين لا يترددون فى تشويه وجه فتاة جميلة مثلك إذا لزم الأمر.. وهناك شىء اسمه القتل.. إنه لا يحدث فى الكتب

وأفلام السينما فقط.. وإنما فى الحياة العادية أيضا.

- هل تهددنى يا آنتونى؟!

- إننى أحذرك.

وقال لنفسه: ترى هل ستدرك معنى هذا التحذير.؟ هل ستكتم السر حقاً.. إنها فتاة حمقاء غبية رغم جمالها.. لا يستطيع أحد الاعتماد عليها فى أمر خطير كهذا.. حسناً.. يجب أن أضاعف من تحذيرى لها حتى أفعم نفسها بالخوف ورفع طبقة صوته قائلا لها:

- يجب أن تنسى آنتونى موريللى.. هل تفهمين ما أقول!

- ولكننى غير مهتمة بالأمر كله يا آنتونى.. إننى فتاة عصرية، وأعتقد أن التعرف بمجرم خطير مثلك ينطوى على مغامرة ممتعة.. لا داعى لأن تشعر بالخجل من اسمك.

يا لها من حمقاء بليدة التفكير! إنه ينظر اليها فى برود ويعجب من نفسه كيف ظن يوماً أنه أحبها! انه عاش كل حياته لا يطيق الأغبياء، حتى ولو كانت وجوههم جميلة كل الجمال.

وعاد يقول فى صوت حاد:

- إنسى كل شىء عن آنتونى موريللى.. إنى أعنى ما أقول.. لا أريد أن تلفظى بهذا الاسم مرة أخرى.

وقرر فى أعماق نفسه أن يتخلص من صداقتها فى أسرع وقت.. فهى، كما تبين له، فتاة لا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً.. وليس من شك فى أنها ستفشى هذا السر فى أى وقت تريد دون أن تهتم بتحذيره أو تهديده.

ورغم أنها كانت تبتسم له فى عذوبة ودلال حينئذ، فقد ظل مقطب الجبين، متجهم الوجه، مما جعلها تقول له فى رقة:

ـ لا تكن عنيفاً معى هكذا يا تونى.. ألا تصحبنى الى الحفلة الراقصة فى قصر آل جارو فى الأسبوع القادم.

ـ إننى لن أكون هنا.. سأكون فى الخارج.

ـ ولكنك لن تسافر قبل أن تحضر حفلة عيد ميلادى.. لن أسمح لك بالتخلى عنى فى اللحظة الأخيرة.. إننى معتمدة عليك.. لا ترفض.. أرجوك.. لقد كنت بائسة محزونة أثناء اصابتى بتلك الأنفلونزا الرهيبة.. فلا تزد شقائى الاعتذار عن الحضور.

وكاد أن يرفض.. أن يخرج من حياتها نهائياً.. ولكنه لمح من خلال الباب المفتوح إيريس وهى تهبط السلم.. إيريس بقوامها الرشيق، وصباها الناضر، وجهها العذب البرئ، وشعرها الفاحم، وعينيها الرماديتين.. ايريس التى تقل عن روزمارى جمالا، ولكنها تفوقها بمراحل فى قوة الشخصية وكمال الخلق. لقد كره نفسه فى تلك اللحظة لأنه خضع لجمال روزمارى الظاهرى وغير مجرى تفكيره فى الحال. فى ثوان معدودات اتخذ قراراً حاسماً غير مجرى حياته من أساسها.



ستيفن فراداى

وكان ستيفن فراداى يفكر أيضاً فى روزمارى.

يفكر فيها وهو جد مندهش لما تثيره الذكريات من خواطر وأفكار فى نفسه وذهنه. لقد تعود أن يطرد هذه الذكرى من عقله كلما ومضت فيه.. ولكنه كان يعجز أحياناً عن طرد صورتها من مخيلته.. فقد كانت روزمارى عنيدة فى موتها، كما كانت عنيدة فى حبها أثناء حياتها.

وكان دائماً يرتعد كلما تذكر ذلك المنظر الأخير لها فى المطعم الفاخر.. إنه، يريد على الأقل، أن يبعد ذكرى هذا المنظر عن ذهنه بأى ثمن.. لينتقل بالذكريات إلى ما وراء هذا المنظر.. إلى أيام أن كانت روزمارى تنبض بالحياة.. تتألق بالجاذبية والابتسام، تتنفس بالعطر كأزهار الربيع..

ولكن.. لشد ما كان أحمق غبياً فى علاقته بها!!

إنه ليعجب من نفسه.. ليعجب أشد العجب! كيف حدث هذا؟! إنه لا يستطيع أن يعرف السبب، وكأنما شخصيته كانت منقسمة يومذاك الى قسمين.. قسم متزن يحسن تقدير الأمور، وآخر أحمق أهوج مستهتر يستهويه الجمال.. حتى لو كان هذا الجمال مجرد طلاء

خارجى لعقل أجوف فارغ..

لقد كان منذ طفولته لا يهتم بشىء إلا تحقيق أمله فى أن يصبح يوماً رجلا عظيماً من القادة والزعماء فى وطنه.. كان هذا الهدف يتألق أمام عينيه فى نومه ويقظته.. وكان يدرك بل يؤمن أن الإرادة.. الإرادة وحدها يمكن أن تحقق للانسان أى أمل يخطر بباله.

ومنذ صباه وهو ينمى إرادته ويقويها وينفخ فيها.. فقد كان يعرف أنه لن يتلقى أية مساعدة من أحد لتحقيق آماله.. فقد كانت أمه من الطبقة المتوسطة، دكان أبوه بناء صغيراً قليل الدخل.. ولكن نجاح ستيفن الصغير الباهر فى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية، شجع أباه على إلحاقه بجامعة اكسفورد رغم ضآلة مواده.. وتخرج ستيفن من جامعة اكسفورد شاباً فى الثانية والعشرين، يحمل إجازة الحقوق بدرجة الامتياز وحوله هالة من إعجاب الأساتذة والزملاء.. فقد كان معروفاً أثناء دراسته الجامعيه بالذكاء، والبلاغة، والقدرة على الكتابة، والبراعة فى التعبير عن أفكاره بأوجز وأفصح عبارة.

وعرف كيف يوطد علاقته بمجموعة من الأصدقاء النافعين. وكان يعرف أن السياسة هى أقصر طريق لتحقيق آماله وأهدافه.. فانغمر فيها، وظل يرتقى من الصفوف الأخيرة فى حزب الأحرار، حتى وصل الى صف المرشحين لعضوية البرلمان. ثم استطاع بذكائه ولما حيته أن ينضم إلى حزب المحافظين فى الوقت المناسب الذى كان الحزب يطعم فيه صفوفه «بالدم الجديد» من السياسيين الشبان ذوى المواهب الفذة.. وهكذا استطاع أن يدخل البرلمان، وأن يصبح عضواً بمجلس العموم.

ولكن أضواء الشهرة والدعاية لم تلبث أن انطفأت بعد المعركة الانتخابية، وإذا ستيفن يجد نفسه مجرد عضو برلمانى مغمور بين مئات من الأعضاء.

فماذا يفعل حتى يلفت الأنظار والأسماع إليه. يجب أن يعتمد على أساس من النفوذ والسلطان. يتزوج من أسرة كبيرة، لها نفوذها السياسى الضخم. وبدأ يبحث عن عروس من أسرة كبيرة، واسعة النفوذ.

وفى أثناء البحث، دعى إلى حفلة ساهرة فى قصر آل كيدر منستر.. وكان يعرف أن لهذه الأسرة نفوذا ضخما فى المحيط السياسى.. وأهم من هذا كله، كان يعرف أن للورد والليدى كيدرمنستر خمس بنات.. تزوجت منهن ثلاث، وبقيت اثنتان.

وفى أثناء الحفلة، عرف من إحدى المدعوات أن الابنة الوسطى، الكسندرا، هى إحدى الابنتين الباقيتين بدون زواج، وأن الأمل فى زواجها من شخصية مرموقة عريقة الأصل يكاد يكون معدوماً.

فهى لم تكن ذات جمال باهر، رغم قوة شخصيتها، واتزان تفكيرها وتعرف عليها بلباقة أثناء الحفلة، متظاهراً بأنه لا يعرف أنها ابنة اللورد، وإنما هى مجرد إحدى المدعوات.

وراقصها، وأعرب لها، بلباقة أيضاً، عن إعجابه الشديد بها. وبعد أيام من الحفلة، راح ينتهز الفرص لمقابلتها خارج القصر وهو جد حريص على التظاهر بأن المقابلة حدثت مصادفة.

فقد التقى بها، خارج القصر، وهى تتمشى مع كلبها الصغير، فتوقف وهتف بسرور بالغ:

- ما أسعد حظى.. لقد كنت أتساءل دائماً.. هل سأراك مرة أخرى واضطرم وجهها بحمرة الخجل والسرور، وانحنى نحو الكلب وراح يربت رأسه قائلا: - ما أجمله.. ترى ما اسمه؟

- ماكنافيش.

- اسم اسكتلاندى خالص.

وسارا معاً وهو يتظاهر بالارتباك إذ يقول:

- إننى لم أخبرك باسمى أثناء الحفلة.. إننى ستيفن فراداى.. عضو مجلس العموم.

وردت هى قائلة وحمرة الخجل تعلو وجهها:

- وأنا.. الكسندرا هايل.

وتظاهر بالدهشة البالغة وهو يتمتم بارتباك:

- أوه.. أنت الليدى الكسندرا.. هايل..!! يا إلهى.. ما أشد حماقتى وأنا أظنك إحدى المدعوات فى تلك الحفلة.

فقالت ببساطة ورقة: - كان يجب أن أخبرك بالحقيقة فى ذلك الحين.

- بل كان يجب أن أعرف بنفسى.. ترى ماذا قلت عنى..!!

- ومن أين لك أن تعرف..!! أرجوك يا مستر فراداى.. لا داعى لأن تضطرب.. فالأمر بسيط.. هلم نمضى إلى تمثال السرينتاين.

وراح يلتقى بها بعد ذلك فى مناسبات عديدة.. وشرع يحدثها عن آماله السياسية، ثم أيقن من أحاديثها فى مختلف الموضوعات

السياسية والاجتماعية أنها تتمتع بالذكاء الوافر، والثقافة وسعة الأفق فى التفكير، والقدرة على مواجهة الأحداث بثبات.

وكانت الخطوة الثانية عندما طلبت من والديها أن يدعواه مرة أخرى الى حفلة ساهرة فى القصر، حيث قدمته إليهما بطريقة جعلتهما يشعران أن هذا هو فتى أحلامها.

وقال اللورد كيدرمنستر وهو يتحدث عنه لزوجته:

- إنه شاب لامع.. ينتظره مستقبل باهر.. لا أعرف شيئاً عن أهله ولكن المؤكد أنه سيضع لنفسه إسماً ضخماً فى سياسة البلاد.

وبعد شهرين، قرر ستيفن أن يغامر، ويفاتح ساندرا بذات قلبه، فقال لها وهما جالسان فى الحديقة، والكلب الصغير عند أقدامهما:

- ساندرا (اسم التدليل لألكسندرا).. أنت تعرفين.. تعرفين أنى أحببتك من النظرة الأولى، وأن حبى ظل يزداد ويقوى حتى لم أعد أطيق الصبر.. إننى أريد أن تشرفينى وتقبلى الزواج بى.. وما كنت أجرؤ على هذا الطلب لولا يقينى التام بأنى سأصبح فى يوم ما جديراً بك.. أؤكد لك أنك لن تخجلى من إسمى يوماً، ولن تندمى على زواجك بى أبداً.

- إننى لا أخجل الآن من معرفتى بك.

- إذن فأنت تبادلينى الحب!

- ألا تعرف حتى الآن؟!

- إننى أعرف.. ولكنى لم أكن واثقاً.. آه.. أقسم لك أننى أحببتك فى تلك الليلة الأولى التى تعرفت بها عليك.

ـ وأنا أيضاً.

وتم الزواج رغم كل المحاولات التى بذلتها الأسرة الكبيرة مع ساندرا لكى تنتظر حتى تتزوج من شاب يحمل لقباً ضخماً كأزواج أخواتها.. ولكنها أصرت على الزواج منه، وإلا فإنها لن تتزوج أبداً.

ووافق والداها أخيراً إذ كانا يعرفان أنها إذا أصرت على شىء، فلن تتزحزح عنه مهما يكن السبب.

وعاش الزوجان السعيدان بضعة أسابيع فى قصر جميل صغير ورثته ساندرا عن جدتها لأمها، فى الريف، وتحقق لستيفن كل ما كان يتوقعه.. فإذا ساندرا خير زوجة، وخير معين له فى حياته السياسية.. لقد أدرك أن الحظ حالفه أخيراً فقدم إليه زوجة لا تقل عنه خبرة بالشؤون السياسية والاجتماعية. وتكاد تفوقه ذكاء وحزماً وقدرة على التعبير عن مشاعرها إذا أرادت، هذا فضلاً عن نفوذ أسرتها الواسع الذى كان يذلل له كل عقبة فى طريق المستقبل اللامع.. وكثيراً ما كان يجلس إلى المائدة أمامها وينظر اليها بقلب خافق بالاعجاب، والسعادة، والشعور بالنصر.. كان شديد الاعجاب بذكائها وثقافتها، وحسن تربيتها، كما كان لا يقل إعجاباً بملامح وجهها المستقيمة، وبشرتها الناعمة، وعينيها الواسعتين وجبينها المرتفع.. حقاً إنها ليست باهرة الجمال.. ولكنها باهرة الشخصية.. تماما كجواد السباق الأنيق المتكبر الذى أحسنت رعايته وتدريبه والعناية به. وبهذا الشعور العميق بالرضى والغبطة والانتصار، سافر معها لقضاء أسبوعين فى سان لوريتز بسويسرا.

وهناك، فى أول يوم، ولأول مرة وقعت أنظاره على روزمارى فى

بهو الفندق.. ماذا حدث فى تلك اللحظة، إنه لم يدر.. لم يعرف على وجه التحديد.. وإنما تذكر كلمات قصيدة كان يلقيها بطريقة ساخرة على مسامع سيدة ذات يوم.. قصيدة تصف شعور العاشق حين «يطب» من أول نظرة.. حين يجد نفسه فجأة فى دوامة من الحب العنيف الثائر الذى لا يدرى من أين اقتحم أسوار قلبه.

لقد شعر ستيفن فى تلك اللحظات بذلك الحب العجيب السريع الذى لا يليق إلا لفتى فى دور المراهقة.

كان يعتقد فى نفسه دائماً أنه من نوع الرجال الذين لا يعرفون الحب إلا أنه لون من الغزل أو المغامرات العاطفية السريعة أو النزوات العابرة.

وإذا سئل: هل تحب زوجتك؟ لقال مؤكداً أنه يحبها.. ولكنه ما كان يفكر فى الزواج بها لو كانت - مثلا - ابنة رجل فقير مغمور!

الحب عنده نزوة عابرة. والزواج صفقة رابحة تمهد له الطريق نحو المستقبل. إذن.. كيف يخفق قلبه بهذا الحب المفاجىء السريع لامرأة جميلة يراها لأول مرة؟

إنه لم يعرف يومذاك، ولم يستطع أن يعرف أبداً

ولكن.. حمداً لله.. لقد منح القدرة على إخفاء مشاعره الحقيقية عن أقرب الناس إليه.. وهكذا لم يعرف أحد قط، حقيقة شعوره نحو روزمارى فى تلك اللحظة وفيما بعدها.

وغادرت روزمارى وزوجها جورج بارتون سان موريتز إلى انجلترا قبل فراداى وزوجته بأسبوع.. ولم يستطع فراداى أن يبقى طويلا فى

سان مويتز، ووافقت ساندرا معه على العودة الى لندن، مادام يضيق بالإقامة فى سويسرا.

وبعد أسبوعين من عودته الى لندن، أصبح عشيقاً لروزمارى. ومرت فترة، ستة أشهر، من العواطف العنيفة.. دوامة من الحب القوى الذى يبلغ حد الخيال.. ستة أشهر كان ستيفن يذهب خلالها الى عمله كالمعتاد، ويزور أهل دائرته بانتظام، ويلقى أسئلته واستجواباته فى مجلس العموم، ويخطب فى اجتماعات الحزب، ويتبادل الحديث فى السياسة مع ساندرا ولكنه فى خضم هذا كله لم يكن يفكر إلا.. فى روزمارى.

كانا يلتقيان سراً فى شقة صغيرة.. خاصة.. وكان يعيش معها فى فترات الحب، كأنه فى حلم.. حلم عاطفى مثير لا يمت الى الواقع بسبب. ثم جاءت اليقظة بعد الحلم. وخيل اليه أن هذه اليقظة فاجأته على غير انتظار. كأنما كان سائرا فى نفق مظلم، ثم خرج فجأة الى النور. كان أمس عاشقا ولهانا تملأ روزمارى عليه حياته، وتفكيره، وعواطفه.. وإذا هو اليوم ستيفن فراداى العاقل المتزن الرزين الذى يفكر فى مستقبله، ويقرر أن يضع حداً لعلاقته هذه الخطيرة.. نعم.. إنها خطيرة جداً.. فماذا يحدث مثلا لو أن زوجته «ساندرا» علمت بالأمر؟!

واختلس ستيفن نظرة الى وجه زوجته الجالسة فى الجهة المقابلة من المائدة.. حمداً لله.. إنها لا تعرف شيئاً.. لا تشك فى شىء.. ومع ذلك كانت اعتذاراته عن تأخره فى خارج البيت تبدو واهية جداً.. ولو كان متزوجاً من سيدة أخرى غير ساندرا للعب الفأر فى «عبها». ولكن ساندرا، والحمد لله، ليست من هذا النوع.

وتنهد فى عمق.. لقد كانت روزمارى، حقاً، شديدة الاستهتار، وإنه لمن دواعى العجب أن يظل زوجها غافلا عن حياتها له كل هذه الشهور.. لا شك أنه واحد من هؤلاء الأزواج الحمقى الغافلين الذين يكبرون زوجاتهم بعدد كبير من السنين.

كم كانت جميلة، فاتنة، روزمارى!! ولكن.. لا.. يجب أن يضع حداً لعلاقته بها.. يجب ألا يدع هذا الحب ليدمر كل ما بناه فى طريق المستقبل.. يجب أن يبتعد عن لندن الى حين حتى تهدأ العاطفة فى قلبهما. واقترح على زوجته ساندرا أن يمضيا أسبوعين فى مزرعة ثيرهافن.. ووافقت على اقتراحه فوراً كعادتها.. فقد كانت، هكذا دائماً، تحقق له كل ما يطلبه منها.

وبدت الحياة فى ثيرهافن هادئة مع ساندرا.. كلها سلام ونقاء وطهر.. وشعر كأنه مريض تجاوز حد الخطر، وبدأ يسترد صحته.

وقطب جبينه بعنف حين سلمه الخادم رسالة باسمه، وهو جالس على مائدة الإفطار مع ساندرا فى منزل المزرعة.

كانت الرسالة من روزمارى.. بخط يدها.. ولم يكن يخشى أن تطلع عليها ساندرا أو تسأل عن مرسلها ما لم يخبرها بنفسه.

فهى أنموذج للخلق الكريم، والتربية القويمة، والأصل الرفيع. ومع هذا كله، فمن الخطر الشديد أن تكتب روزمارى اليه بخط يدها.. فمن يدرى.. إن الإنسان لا يستطيع دائماً أن يثق فى أمانة الخدم.

ومضى بالرسالة الى مكتبه الخاص، وفضها فى عنف شديد، فاذا هى صفحات عديدة من الحب الملتهب العنيف.

وراحت نشوة الحب تتسلل اليه مرة أخرى وهو يقرأ .. أنه يبتسم وهى تدعوه ليوبارد الحبيب.. لقد أطلقت عليه هذا الاسم عندما اشترى لها ثوباً مرقطاً أعجبت به كل الإعجاب. إنها تقول له فى الخطاب «كيف طاوعك قلبك يا حبيب على أن تبتعد عنى هذه الأيام.. بل هذه اللحظات.. ألا تشعر بأنى لا أطيق البعد عنك لحظة واحدة». كلام فارغ.. ولكنه لذيذ. يملأ صفحات بعد صفحات. ولكن كان ينبغى أن تكون أشد حذراً. فإن ساندرا ليست من نوع النساء اللاتى يقبلن هذا الوضع المهين. فلو أنها قرأت هذا الخطاب.. أو علمت بما فيه من أحد الخدم.. يا للهول.. يا للفضيحة.. يا للمستقبل الضائع!! وانطلق بسيارته الى مكتب البريد الذى يبعد عن المزرعة بثمانية أميال، واتصل تليفونياً بروزمارى وقال لها:

- روزمارى.. أوه.. حذار أن تكتبى إلى خطاباً آخر.

- ستيفن.. يا حبيب.. ما أسعدنى وأنا أسمع صوتك

- كونى على حذر.. فقد يسمعك أحد.

ليسمعنى الناس جميعاً.. لتسمعنى الدنيا كلها.. إنى أكاد أموت شوقاً اليك.. ألا تشعر بمثل هذا الشوق يا حبيب؟

- طبعاً، طبعاً.. ولكن.. أرجو منك.. لا ترسلى خطابات أخرى.

- هل أعجبك خطابى.. هل أشعرك كأنك معى.. إنى أريد أن أبقى بجانبك يا حبيبى فى كل لحظة ألا تشعر بهذا أيضاً.

- نعم.. نعم.. ولكن لا ينبغى أن يقال هذا فى التليفون.

- ماذا دهاك يا ستيفن.. ما هذا الخوف؟

- إننى أخشى أن يسمعك أحد.. إنى أريد المحافظة على سمعتك.

- لست أهتم بما يحدث لى.. وأنت تعرف هذا.

- ولكنى أهتم يا حبيبتى.

- متى ستعود؟

- يوم الثلاثاء.

- وسنلتقى فى المسكن الخاص يوم الأربعاء؟!

- نـ.. نعم.

- إننى لا أطيق الانتظار يا حبيبى.. ألا تستطيع أن تختلق عذراً وتأتى اليوم.. إنك تستطيع يا ستيفن.. يمكنك أن تعتذر بالشئون السياسية أو بأى شىء.

- هذا مستحيل.

- إننى لا أصدق أنك مشوق إلى نصف شوقى اليك.

- أؤكد لك أننى أكثر شوقاً اليك.

ثم وضع السماعة وهو يشعر بالتعب والإرهاق.

يجب أن يلتزم الحذر الشديد فيما بعد.. يجب أن يقلل من زيارته معها للمسكن الخاص.

ولما بدأ يتجنبها بعد ذلك، ثارت عليه، فحاول أن يعتذر بمشاغله السياسية، فصاحت غاضبة:

- اللعنة على السياسة كلها.. إننى لا أهتم إلا بالحب.

وعبثاً حاول أن يبين لها حقيقة الموقف.. إنها لم تكن تهتم بمطامعه، وآماله، وأحلامه. إنها فقط تريد أن تسمعه وهو يردد على أذنيها كلمات الحب.. ولا شيء غير الحب.

- قل لى أحبك يا حبيب.. قل لى مرة أخرى إنك تحبنى حقاً.. بكل نبضه من قلبك.

وفى مرة أخرى أفزعته يقولها: - لماذا لا نرحل الى مكان بعيد. إلى جنوب فرنسا. حيث نلتقى هناك، ونعيش معاً فترة سعيدة.. دون أن يرانا أحد من معارفنا.

فلما بين لها أن هذا أمر مستحيل، وأنه من المحتمل جداً أن يراه أحد معارفه أو زملائه فى المدرسة، قالت:

- وماذا يهم لو رآنا أحد.. إننى شخصياً لن أهتم.

فازداد شعوره بالفزع وقال بسرعة: - ماذا تعنين؟!.

فأرسلت اليه تلك النظرة الباسمة الجذابة التى كانت فيما مضى تذيب قلبه، ولكنها أصبحت أخيراً تثير القلق والضيق فى نفسه، ثم قالت:

- ليوبارد يا حبيب.. إننى أفكر أحياناً فى أن نضع حداً لهذا الاستخفاء فى الحب.. لهذه المقابلات السرية الخاطفة.. يجب أن نعلن حبنا للجميع.. يجب أن نعيش معاً.. الى الأبد، إن جورج لن يرفض تطليقى إذا أردت.. وكذلك لن تعترض ساندرا على الانفصال عنك.. فإن كبرياءها تمنعها من الحياة مع رجل لا يحبها.. وعندئذ يمكننا أن نتزوج.

إهكذا.. بكل بساطة.. تحطم مستقبله.. وتقضى على آماله..

وتدمر كل ما بناه فى حياته؟

- إننى لن أسمح لك يا حبيبتى بأن تفعلى شيئاً من هذا القبيل!

- لماذا؟ إننى لن أهتم بأقوال الناس. إننى أريد السعادة فى الحياة.

- ولكننى أهتم.. أهتم جداً.. إن حياتى كلها متوقفة على تقدير الرأى العام لى.

- إن الحب يا ليوبارد أهم من الرأى العام.. أهم شىء فى الحياة.. إنه الحياة نفسها.. إننى موفورة المال.. ولن تحتاج الى أن تسعى فى سبيل الرزق.. أبداً.. لسوف نرحل معاً الى جميع أنحاء الدنيا.. الى جزيرة زاهرة خضراء فى المحيط الهادى.. تصور هذا يا حبيبى.. تصور حياتنا معاً فى جزيرة حالمة تقبل أمواج المحيط أطرافها، وتبتسم الزهور العاطرة فى أنحائها، وتظللها سماء صافية الأديم، مشرقة دائماً بالنور.

وابتسم لنفسه ساخراً.. جزيرة حالمة حقاً؟! يا لها من فكرة حمقاء.. أى نوع من الرجال تظنه هذه الغبية.. أفاق شريد؟!

وقرر فى تلك اللحظة أن يقطع علاقته بها نهائياً.. بأى ثمن!!

فإذا لم يفعل، فسوف يفقد كل شىء.. سيفقد ساندرا.. سيفقد نفوذ أسرتها الضخم، سيتعرض لفضيحة تزلزل كل ما بناه.

ولكن المهم كله.. أنه سيفقد ساندرا. وأدرك فجأة، أنه يحبها.. يحب ساندرا.. يحبها هذا الحب العميق القوى المؤسس على التفاهم المشترك، والاعجاب المتبادل، والتعاون للوصول الى هدف واحد.

إنه لا يستطيع أن يفقد ساندرا.. زوجته.. وصديقته..

ومساعدته.. وشريكة حياته.. وحبيبته الحقيقة.لا.. لا يستطيع أن يفقدها.. مهما يكن الثمن! ومن ثم عليه أن ينتزع نفسه من هذه الشبكة الخطيرة بأية وسيلة ممكنة عليه أن يجعل روزمارى تنصت اليه، وتقتنع تماماً بوجهة نظره عن وجوب قطع كل علاقة بينهما قبل فوات الأوان.

ولكن.. هل يمكن هذا؟! إن روزمارى والمنطق ضدان مختلفان.! لنفرض أنه صارحها بالحقيقة.. صارحها بأنه يحب زوجته رغم كل ما حدث. لا.. إنها بكل بساطة لن تصدقه.. فهى حمقاء، شديدة التعلق به.. وهذا أسوأ ما فى الأمر كله.

واستبد به غضب شديد.. كيف بحق السماء يستطيع أن يقنعها.! كيف يغلق فمها.! لا شىء إلا «جرعة من السم».. هكذا فكر بمرارة.

وقرر ستيفن فى تلك اللحظة أن ينقذ نفسه من هذا المأزق بأى ثمن. ولكنه كان فى حاجة الى الوقت.. الى متسع من الوقت ليفكر.. ويدبر.. ويضع خطة الانقاذ. إن روزمارى فى دور النقاهة من أنفلونزا حادة.. ولقد أرسل لها بدافع المجاملة فقط باقة من الأزهار.. وفى الأسبوع التالى سيحضر مع زوجته حفلة عيد ميلادها بمطعم اللوكسمبرج الفاخر.. وقد قالت هى له: «إننى لن أفعل شيئاً إلا بعد الانتهاء من حفلة عيد ميلادى.. فلا يليق أن أفاجىء جورج المسكين بطلب الطلاق وهو يستعد لهذه الحفلة».

لتفرض أنه صارحها بلهجة عنيفة أنه لم يعد يحبها، وأنه يريد الخلاص منها.. فماذا يحدث.. ماذا يكون موقفها؟ أكبر الظن.. بل يقيناً.. أنها قد تفقد زمام أعصابها وتقيم الدنيا وتقعدها مع جورج،

وربما أسرعت الى ساندرا باكية قائلة بصوت كله الحيرة والعجب: «يزعم ستيفن أنه لم يعد يحبنى.. ولكننى أعرف أنه كاذب.. إنه يريد فقط، أو يحاول فقط، ان يتظاهر بالوفاء لك.. ليظل معك.. ولكننى أومن بأنك ستوافقيننى على أنه ما دام اثنان يتبادلان الحب، فيجب أن يخلى أمامها الطريق.. وهذا ما حفزنى للحضور اليك لكى تمنحى ستيفن حريته».

هذا هو ما يحتمل أن ينساب من عقلية فتاة حمقاء مثل روزمارى على مسامع سيدة جليلة مهذبة مثل ساندرا.. فماذا يكون رد ساندرا.. لسوف ترد عليها فى كبرياء وتحفظ قائلة:

- إننى لن أعارض أبداً فى تحريره من قيد الزواج.

وإذا حاول أن يعتذر لها أو يقسم بأنه لم يعد يحب روزمارى، فإنها لن تصدقه، وكيف تصدقه إذا أبرزت روزمارى لها هذه الرسائل الغرامية التى كتبها بحماقته وبخط يده!.

إذن يجب أن يفكر فى شىء آخر.. فى وسيلة أخرى يمنع بها روز مارى من إثارة فضيحة فى حياته.. وإنه «لمن دواعى الأسف» - هكذا فكر لنفسه - «أن عصر آل بورجيا قد انقضى».

فإن كأسا من الشمبانيا المسمومة كفيل بأن يغلق فم روزمارى الى الأبد نعم.. هكذا كان يفكر: سيانيد البوتاسيوم فى كأس شرابها.. سيانيد البوتاسيوم فى حقيبة يدها.. انقباض نفسى بعد الأنفلونزا.

وعبر المائدة.. التقت عيناه بعينى زوجته ساندرا.

لقد مضى عام تقريباً على كل هذا.. وهو لا يستطيع أن ينسى.

الكسندرا فراداى

وكذلك لم تستطع ساندرا فراداى أن تنسى روزمارى. لقد كانت تفكر فيها فى هذه اللحظة نفسها..

تفكر فى جسدها الملقى على المائدة المستديرة بالمطعم.. وفى وجهها الأزرق المسموم الذى كان يختلج بالألم الرهيب قبل أن تهمد حركاتها.

ورفعت ساندرا عينها وهى تذكر كيف تنهدت يومذاك فى عمق وارتياح، وإذا نظراتها تلتقى بنظرات زوجها.

ترى هل رأى فى عينيها يومذاك الحقيقة.؟ هل أدرك مبلغ ما كان يجيش فى صدرها من حقد وكراهية لروزمارى؟! حتى وهى جثة هامدة؟! لقد مضى عام.. ولكن الذكريات لا تزال حية كأن كل شىء حدث الأمس القريب. روزمارى، إنها الزهرة التى تعنى «الذكرى».. فما أصدق هذا وأرهبه! فلا فائدة من موت شخص إذا ظلت ذكراه حية فى الأذهان والنفوس.. وهذا ما فعلته روزمارى.. فى ذهن ساندرا. وفى ذهن ستيفن.. حية الذكرى دائماً.

اللوكسمبرج.. هذا المكان البغيض.. بطعامه الفاخر، وموسيقاه الحالمة، وأناقته المدهشة، وجوه المترف.. مكان لا يستطيع الانسان أن يتحاشاه.. فإن الناس دائماً يدعونك اليه فى حفلاتهم.

لقد حاولت أن تنسى.. ولكن الأقدار تأبى عليها النسيان.. وها هو ذا جورج بارتون يشترى بيتاً ومزرعة صغيرة على بعد ميل ونصف ميل من مزرعة غيرهافين.. حيث تقيم مع زوجها فى الوقت الحاضر.

عجيب حقاً أن يشترى جورج هذا البيت والمزرعة القريبة منهما.. فإن جورج بارتون رجل غريب الأطوار.. ليس من نوع الجيران الذين يحب الانسان أن يكونوا بجانبه. وإن وجوده فى ليتل برايور قد أفسد عليها جو الوداعة والسلام فى فيرهافن.. فقد كانت فيرهافن، حتى هذا الصيف، مثابة الهدوء، والراحة والدعة.. المكان الذى يهىء لها السعادة فى الحياة مع ستيفن.. هذا إذا أتيحت لهما السعادة يوماً.

وزمت ساندرا شفتيها.. نعم.. كان من الممكن جداً أن يكونا أسعد زوجى نفى الوجود، ولكن روزمارى اقتحمت حياتهما، وحطمت هذا البناء الجميل من الثقة والتفاهم والحب الذى كانت هى وستيفن يقيمانه جزءاً جزءاً.. لقد ظلت تخفى حقيقة حبها الكبير على ستيفن بدافع غريزى لا تعرف له سبباً.. لقد أخفت عنه تفانيها فى هذا الحب.. لم تخبره بأنها أحبته أقوى وأعنف الحب منذ رأته أول مرة فى تلك الحفلة بقصر أبيها.. ولعلها أخفت حبها القوى هذا عنه لأنه كانت تعرف بغريزتها أنه لم يتزوجها عن حب قوى كما زعم لها، وإنما طمعاً فى نفوذ أسرتها.. وكانت تأمل بتفانيها، وإخلاصها، ومشاركتها له فى الشعور والتفكير والسعى نحو الهدف المشترك، أن تظفر فى النهاية بحبه وبقلبه وبكل عواطفه.

نعم.. كانت تأمل أن تظفر بأقوى مشاعره فى النهاية لأنها كانت تعلم تماماً أنه يشعر بالسرور فى وجودها معه، ويبتهج بمعاونتها له، ويسعد لقربها منه، ويدرك أنه لا يستطيع الاستغناء عنها.. كانت تعرف أن هذه المشاعر كلها ما هى إلا المعابر نحو الحب العميق فى النهاية. ثم جاءت.. روزمارى.. فهدمت كل شىء.

ولقد عرفت على التحديد اليوم الذى أصبحت فيه روزمارى عشيقته. عرفت نوع العطر الذى كانت تستعمله روزمارى فى ذلك اليوم. كانت تقرأ ببصيرتها النافذة أفكاره كلما عاد بعد موعد مع عشيقته. ولقد تعذبت ساندرا كثيراً.. وظلت تتعذب يوماً بعد يوم فى صمت وجلد واحتمال.. كانت تحتمل هذا العذاب بشجاعة، وكبرياء، وأمل فى أن تخمد جذوة هذا الحب يوماً، وتنتهى نزوته العابرة، ويعود ستيفن اليها وقد أدرك الفارق الكبير بينهما وبين تلك الجميلة الحمقاء روزمارى.

ولكن الأيام تمر.. والأسابيع تكر.. والعلاقة بين ستيفن وروزمارى تزداد قوة وعنفاً. وبدأ القلق العنيف ينهش صدر ساندرا.. وبدأ النوم يجفوها.. وبدأت شهيتها للطعام تقل.. ولكنها تجلدت، وأبت أن تجعله يشعر بما هى فيه من عذاب رهيب.

إنها موقنة بأن ستيفن لن يسمح لروزمارى بأن تفسد عليه مستقبله.. لقد خلق ستيفن ليكون زعيما بين الرجال.. وليس أدل على هذا من محاولته الهرب منها بالذهاب الى نيوهافن لقضاء أسبوع فى راحة واستجمام. وشعرت ساندرا ببوادر السعادة خلال هذا الأسبوع.. شعرت أن ستيفن يحاول أن يبتعد عن روزمارى تمهيداً لقطع علاقته بها.

ولكن روزمارى لاحقته برسائلها.. ثم لاحقته بغرامها بعد عودته الى لندن.. وتبينت ساندرا أن ستيفن يتعذب من فرط القلق.. أدركت أنه حائر لا يدرى ماذا يفعل مع روزمارى.. لقد سمعتها تقول فى همس لستيفن ذات ليلة وهى تظن أن أحداً لا يسمعها: «يجب أن نحزم أمرنا ونواجه العالم.. سوف أخبر جورج بكل شىء».

وأصبحت ساندرا بعد سماعها لهذه العبارة، كتلة مشتعلة بالحقد والكراهية.. فقد عرفت أى عالم من العذاب يعيش فيه ستيفن.. عرفت أن الحمقاء روزمارى مصممة على الطلاق من زوجها والزواج من ستيفن بأى ثمن.. وإذا رفض أثارتها فضيحة مدوية تحطم مستقبله. وتسممت أفكارها نحو روزمارى.. ولو أن الأفكار تقتل، لقتلت أفكار ساندرا روزمارى.

ولكن الأفكار لا تقتل أحداً.. إنها لا تكفى. كم كانت روزمارى جميلة فى حفلة عيد ميلادها بمطعم اللوكسمبرج وهى تزين كتفيها العاريتين بفراء ثمين تركته فى غرفة ملابس السيدات.. كانت شاحبة الوجه، نحيلة الجسم، بعد مرضها.. ولكنها كانت فاتنة. جذابة، لا يستطيع أى رجل أن يقاوم جاذبيتها.

لقد وقفت فى غرفة الزينة بالفندق تضع البودرة على وجهها أمام المرآة.. ووقفت ساندرا وراءها تنظر الى نفسها فى المرآة فلا ترى غير وجه بارد لا ينم عن الانفعالات التى تجيش وراءه!!

واستدارت روزمارى فجأة اليها وقالت لها باسمة: «أوه.. ساندرا.. معذرة.. لقد احتللت المرآة لنفسى كل هذا الوقت.. أوه.. لشد ما أشعر بالتعب والصداع من أثر الأنفلونزا».

وقالت ساندرا بصوتها المهذب: «أتشعرين الليلة بصداع يا عزيزتى؟!». وأجابت روزمارى: «نعم.. صداع بسيط.. هل أجد معك أقراص أسبرين؟!».

وفتحت ساندرا حقيبة يدها وهى تقول: «لدى أقراص مسكنة على شكل برشام». وأخذت روزمارى البرشام المسكن منها ودسته فى حقيبة يدها وهى تقول: «سأحتفظ بهذا المسكن لاستعماله إذا اشتد الصداع». وكانت روث ليسنج - سكرتيرة جورج - واقفة فى الغرفة ترقب هذا كله.. ولاحظت ساندرا نظرات الكراهية المطلة من عينيها وهى تنظر الى روزمارى.. وأدركت أنها هى أيضاً، لسبب ما، تكره زوجة رئيسها أشد الكراهية.

وبعد أن فرغن جميعاً من التجمل، وغادرن الغرفة.. وكانت معهن أيضاً إيريس شقيقة روزمارى.. كانت تنتظر دورها للتجمل، وكانت تبدو بعينها الواسعتين، ووجهها البرىء المدهوش، كتلميذة فى مدرسة، تحضر لأول مرة فى حياتها حفلة ساهرة.

وكانت روزمارى تضحك عالياً وهى تغادر الغرفة الى قاعة المطعم.. كانت تضحك وهى لا تدرى أنها تخطو.. نحو الموت.



جورج بارتون

«روزماري..!»... وأعاد جورج بارتون الكأس الى المنضدة وهو ينظر فى ذهول ووجوم الى نيران المدفأة، لقد شرب حتى أوشك أن يفقد الوعى.

كم كانت تلك الفتاة جميلة.. وكم كان مفتوناً بها، غارقاً فى حبها الى أذنيه، موقناً تماماً بأنها كانت تضحك من حبه وتستخف به. لم يكن يتصور لحظة أنها ستقبل الزواج منه حين غامر وطلب يدها.. إنها لم تقبل الزواج منه فوراً.. وإنما ضحكت وأمهلته حتى تفكر.. وقبلته فى رأسه قائلة:

- إنك عزيز على يا جورج.. ولطيف وطيب القلب.. ولكنى لا أفكر فى الزواج الآن.. وعندما أفكر فيه، سأخبرك.

ولم تكن لديه ذرة من الأمل فى أنها ستقبله زوجاً يوماً.. ولهذا كاد لا يصدق أذنيه وعينيه حين أعلنت له ذات يوم أنها قبلت الزواج منه. إنها لم تتزوجه عن حب.. أبداً.. كان يعرف هذه الحقيقة.. وقد صارحته روزماري بها وهى تقول:

- أنت تفهم شعورى يا جورج.. إن قلبى لم يتفتح للحب بعد..

وإنما اريد أن أستقر.. وأن أسعد فى حياتى مع زوج عطوف متزن عاقل مثلك لقد سئمت مغازلات الشبان لى، وأدركت أن هذه النزوات العابرة لا فائدة منها.. وقد اخترتك لأنك لطيف، ولأنك تحبنى حقاً أشد الحب.

وأحس جورج أنه يعيش فى جو سعيد مع روزمارى.. لم يكن يتصورأبداً أن الأقدار ستحابيه إلى هذا الحد وتسعده بالزواج من فتاة تتمتع بالشباب الناضر، والجمال الباهر، والثراء الوافر.

وقرر فى نفسه أن يسعدها بقدر ما يستطيع.. قرر أن يترك لها الحرية التامة فى تصرفاتها حتى لا تشعر بقيود الزواج وتثور عليها.. كان واثقاً أنها ستلهو وتعبث وتستمتع بحياتها فى حدود الشرف والطهر.. لم يخطر بباله يوماً أنها قد تخونه مع رجل آخر.. أنها قد تعرف الحب العنيف الذى يدفعها الى طلب الانفصال عنه.

ولكن الأقدار أخلفت ظنه، فإذا هو يشعر ذات يوم أن روزمارى أحبت.. تفتح قلبها للحب فجأة.. فاذا جمالها يتضاعف ويزدهر كالوردة فى فصل الربيع.. وإذا عيناها تتألقان بالحب الذى يرسل أناشيده فى دمائها.. وإذا عيناها تتوهجان بنيران هذا الغرام الوليد.

كان يشعر بهذا كله، ويدركه بداهة، ثم أيقن منه بالحقيقة الواقعة. دخل عليها وهى تكتب.. فلما رآها ترتبك وتضطرب وتخفى الورقة فى يدها، وتغادر الغرفة مسرعة، ذهب الى النشافة فوجد هذه الكلمات معكوسة عليها بوضوح «يا حبيب الحبيب» وشعر فى تلك اللحظة بما كان يحس به عطيل من نار الغيرة على ديمونة.! إه.. لقد أحبت روزمارى أخيراً.. أحبت رجلا غيره! لسوف يخنقها بيديه

ويراها جثة هامدة على أن يدعها تعيش فى أحضان إنسان آخر.. مستحيل. ترى من هو هذا الحبيب اللعين..؟ إنه أحد اثنين ولا ثالث لهما.. إما أنتونى براون.. أو ذلك السياسى المتعجرف ستيفن فراداى.

ونظر جورج إلى وجهه فى المرآة عندئذ، فرأى الدماء تتصاعد الى عينيه، وبدا كأنه سيقع مغشياً عليه من فرط الغضب، والغيرة، والحقد. إن جورج يرتعد الآن وهو يذكر تلك اللحظة الرهيبة التى اكتشف فيها أن لروزمارى - زوجته - حبيباً.. أو عشيقاً.. فمن يدرى..

وطرد موكب الذكريات فى جهد عن ذهنه.. إنه لا يريد أن يذكر.. فقد انتهى كل شىء، إنه لن يتعذب مرة أخرى.. ماتت روزمارى وأصبحت فى عالم السلام.. وأصبح هو أيضاً يعيش فى سلام بعد موتها..؟. من كان يصدق أن جورج بارتون لن يشعر بالرضى والسلام إلا بعد موت روزمارى..!

ولكنها الحقيقة الواقعة. إنه لم يخبر سكرتيرته روث بهذا الأمر.. لا داعى للفضائح. حسناً.. حسبه أن يفكر فى سكرتيرته القديرة روث ليسنج.. يا لها من فتاة رائعة، مدهشة، عملية.! إنه لا يدرى ماذا كان يفعل لو لم تكن روث بجانبه... تعاونه، وتواسيه، وتخفف عبء العمل عنه، دون إشارة أو تلميح للعواطف الجنسية.

ما أبعد الفرق بينها وبين روزمارى ذات العواطف الملتهبة نحو الرجال روزمارى.. روزمارى جالسة إلى مائدة العشاء فى مطعم اللوكسمبرج الفاخر.. شاحبة بعد إصابتها بالانفلونزا.. ولكنها فاتنة جذابة.. رائعة الجمال..

ثم... بعد ساعة واحدة، كانت. لا.. لا.. إنه لن يفكر فى هذا

الآن.. ليس الآن.. ليركز أفكاره فى الخطة.. الخطة. إنه يرسم خطة عجيبة مدهشة.. مذهلة.. للايقاع بالقاتل. سوف يتحدث عنها أولا الى صديقه الكولونيل ريس بعد أن يطلعه على الرسالتين المجهولتين. أما الخطة نفسها، فقد أوشك أن يفرغ من رسم خطوطها.. لقد فرغ من تحديد اليوم والمكان. اليوم الثانى من نوفمبر. عيد كل الأرواح.. والمكان مطعم اللوكسمبرج.. وسيحاول أن يحجز نفس المائدة المستديرة فى نفس المكان من قاعة المطعم الذى وقع فيه الحادث.

والمدعوون أنفسهم.. آنتونى براون.. ستيفن فاراداى وزوجته.. وطبعاً روث وإيريس وهو نفسه.. ثم.. ثم الكولونيل ريس.. ريس الذى كان مفروضاً أن يحضر الحفلة الأولى لو لم يعتذر، وسيكون بينهم مكان خال.. مكان كانت تجلس فيه روزمارى.. إن الخطة ستكون رائعة، صورة من الجريمة.. تكرار للحادث.. ثم المفاجأة الرهيبة التى ستهز أعصاب القاتل المجهول.



بين زوجين

كـانت لوسـيـلا دريك مـشـغـولة بالاستعدادات اللازمة للانتقال من منزل ليتل برايور الى لندن..

وكانت لا تكف عن الثرثرة، كعادتها، وهى تؤدى عملها.. كانت تتحدث عن جورج وشحوب وجهه فى الأيام الأخيرة، وعن ابنها فكتور المسكين المظلوم ووجوب إرسال كل ما يطلبه من مال فى الغربة، وإلا قتل نفسه، وهى لا تستطيع أن تعيش بعده لحظة واحدة، فهو ابنها الوحيد. وفجأة قالت لإيريس:

- تأكدى يا عزيزتى أن هذه الفتاة روث ليسنج تسعى للزواج من جورج.. نعم.. أنا واثقة من هذا.. إنها ترمى شباكها حوله.. إنها تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من أعماله، إنها ترسم خطتها للايقاع به فى فخ الزواج ببراعة ومهارة.. إنها...

فقاطعتها إيريس فى ضيق قائلة:

- وهل هذا يهمنا فى شىء.

- يهمنا؟! طبعاً يهمنا كل الأهمية..؟ لماذا يحتاج جورج للزواج مادمنا نؤدى له كل ما يحتاج اليه للحياة فى استقرار.. لماذا يفرض

علينا سيدة للبيت.

وبعد أن ظلت تتحدث بضع دقائق عن هذا الموضوع، وعن غيره من مختلف الموضوعات، قالت:

ـ والآن.. ان جورج لم يخبرنا هل سنحمل البطاطين معنا الى لندن، أم نتركها هنا.

ـ وما أهمية هذا؟!

ـ إننا إذا تركناها هنا فيجب أن نرش عليها المسحوق القاتل للعثة.. فإن العثة تتكاثر فى هذا الموسم بشكل فظيع.. هكذا يقول كل إنسان.. وكذلك الدبابير تكاثرت هذا الموسم أكثر مما ينبغى.. لقد خرب البستانى هو كنز ثلاثين جحرا لها أمس مستخدماً سيانيد البوتاسيوم.. تصورى.. ثلاثين جحراً.

وشردت أفكار إيريس فجأة.. هوكنز يستعمل سيانيد البوتاسيوم.. السم القاتل.. للقضاء على الدبابير.. سيانيد ـ روزمارى.. يا للهول.. إن كل شىء يؤدى الى ذكرى هذا الحادث.

وارتعدت إيريس. وصاحت لوسيلا دريك فى انتصار:

ـ ألم أقل لك إن الجو قد بدأ يبرد.. ها أنت ذى ترتعدين.. يحسن أن ترتدى ثوباً صوفياً.

وفى الجانب الآخر من المزرعة الصغيرة.. على بعد ميل ونصف ميل، كان ستيفن فاراداى جالسا الى مائدة الإفطار يتحدث إلى زوجته فى اضطراب قائلا:

ـ إننى لا أدرى ماذا يقصد جورج بارتون من دعوته لنا بإلحاح

شديد لحضور حفلة عيد ميلاد إيريس.. يقول إنه يقيم هذه الحفلة بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة.

- ألا يمكن أن نعتذر إذا أردت.

- لقد حاولت الاعتذار، ولكنه رفض.. قال إنه يترك لنا تحديد اليوم الذى يمكننا فيه الحضور إذا شئنا.

- حسناً.. لنذهب، فإننا لن نخسر شيئاً على كل حال، وإن إيريس فتاة لطيفة، ولا بأس أن نجاملها هى إذا لم نشأ أن نجامل جورج.

- نعم.. نعم.. ولكنى لاحظت أن إيريس نفسها غير متحمسة لهذه الحفلة..

- هل حدد موعدها؟!

- قال إنه سيترك لنا حرية اختيار يوم من ثلاثة أيام.. الثلاثاء أو الأربعاء أو الخميس الموافق ٢ نوفمبر.. بعد عشرة أيام تقريباً..

- وبهذه الطريقة لم يترك لك فرصة الاعتذار.. هل حددت له يوماً.

- لقد اقترحت يوم الخميس الثانى من نوفمبر، فوافقته، وارتبطت معه على هذا الأساس.

- هل أخبرك بمكان الحفلة؟!

- لا.. هل أخبرك أنت؟

- علمت أنها ستقام فى مطعم اللوكسمبرج.

وانحسرت الدماء فجأة عن وجه ستيفن، وبذل جهداً عنيفاً ليجمع شتات أعصابه المستوتره، وخيل اليه أن زوجته تنظر اليه فى غموض..! أم لعله يتوهم هذا؟!

وقال أخيراً وهو يحاول أن يخفى اضطرابه:

- ولكن هذا غير معقول.. لماذا يختار اللوكسمبرج حيث.. حيث ماتت روزمارى؟! لا شك أن الرجل مجنون تماماً.

- إننى أعتقد هذا أيضاً.

- إذن يجب أن نعتذر.. إننا لم ننس بعد تلك الضجة التى حدثت بسبب وفاة روزمارى، أقوال الصحف.. والصور.. و.. المضايقات المختلفة..

- نعم أذكر هذا.. ولكن لجورج هدفاً يريد أن يحققه من وراء هذه الحفلة.. وقد أخبرنى به.

- وما هو؟!

- قال لى على انفراد أمس، إن إيريس لم تتغلب بعد على الصدمة التى أصابتها بسبب وفاة أختها، و...

- هذه حقيقة لاحظتها بنفسى، فإن إيريس تبدو دائماً شاحبة، مضطربة، شاردة التفكير.

- نعم.. لاحظت هذا أيضاً وإن كانت الفتاة فى الأيام الأخيرة قد بدت تسترد صحتها وحيويتها. وقد قال جورج إنها تتحاشى الذهاب الى مطعم اللوكسمبرج بعد المأساة.

- ولكنه يرى أنه أمر خطير.. ويبدو أنه استشار الأطباء الإخصائيين فى الأمراض النفسية والعصبية فأشاروا عليه بإقامة حفلة خاصة فى مطعم اللوكسمبرج إيريس، ويستحسن أن يحضرها جميع من كانوا فى الحفلة التى انتهت بالمأساة، وبهذه الطريقة تتغلب

على الصدمـة.. تماماً كما يفعل المسئولون مع الطيار الذى نجا من سـقـوط طـائرته.. إنهم يكلفـونه بـالطيـران فى طائرة أخـرى عـقب الحادث قبل أن تتكون لديه عقدة نفسية.

- وما ذنب المدعوين فى هذا الأمر.. ما ذنبنا نحن.

- هل ترى أن الذهاب الى اللوكسمبرج يؤلمك كثيراً؟!

فأسرع ستيفن قائلا حتى لا يقع فى الفخ:

- لا لا.. أبداً.. لقد خطر لى فقط أنها فكرة شاذة.. وأنا شخصياً لا أهتم إذا كانت الحفلة فى اللوكسمبرج أم فى غيره، ولكننى ظننت أنك ربما...

فقاطعته قائلة:

- وأنا أيضاً لا أهتم.. فقد ذهبنا معاً الى اللوكسمبرج كثيراً بعد المأساة.. وقد أصبح من العسير علينا أن نرفض دعوة جورج بعد أن قبلناها.

- إننى على استعداد يا ساندرا للذهاب وحدى.. وليس هناك ما يرغمك على قبولها، فمن الممكن أن تعتذرى فى آخر اللحظة بصداع مفاجىء أو بشىء من هذا القبيل.

فرفعت ساندرا رأسها فى كبرياء وقالت:

- لا.. إذا ذهبت، فيجب أن أذهب معك.. قد تكون حياتنا الزوجية ليست ذات أهمية. ولكن واجبى أن أشترك معك فى كل المصاعب وأواجه بجانبك كل المشكلات.

ونظر اليها مدهوشاً معقود اللسان وهو يسمعها تقول: «قد تكون حياتنا الزوجية ليست ذات أهمية» فى بساطة ووضوح وصراحة..

وتمالك نفسه أخيراً وقال:

ـ لماذا قلت هذا؟ لماذا قلت عن حياتنا الزوجية أنها ليست ذات أهمية؟!

فنظرت اليه بعينيها الواسعتين الصريحتين فى ثبات وبراءة وقالت:" ـ اليست هذه هى الحقيقة.

ـ لا.. وألف مرة لا.. إن لها كل الأهمية فى حياتى.

فابتسمت قائلة:

ـ ربما.. بطريقة ما.. أو لهدف معين.. فنحن نسير معا كجوادين فى طريق واحد.

ـ ليس هذا ما أعنى يا ساندرا.

ثم لهثت أنفاسه وهو يردف قائلا بعد أن أخذ يدها بين يديه:

ـ ساندرا.. الا تعلمين أنك أغلى وأثمن وأحب شىء فى حياتى.. بل أنت كل حياتى..

وفجأة أدركت الحقيقة.. الحقيقة المذهلة، الرائعة، التى كانت تحلم بها، ولا تنتظر أن يتحقق الحلم يوماً.. أدركت من لهجة حديثه، ومن نبرات صوته، ومن بريق عينيه، أنه صادق.. إنه يحبها حقاً.. إنها حياته صدقاً!

وأسرعت اليه، وألقت بنفسها بين ذراعيه، وراحت، لأول مرة فى حياتها تضمه بقوة وعنف وحب ملتهب، وتتلقى على شفتيها قبلاته العارمة، وتنصت الى صوته المتهدج بالانفعال وهو يقول:

ـ ساندرا.. ساندرا.. يا حبيبتى.. لشد ما أحبك.. لشد ما كنت

أخشى أن أفقدك.

- بسبب روزمارى؟!!

فتراجع عنها فى دهشة وقال: - أكنت تعرفين؟!

- طبعاً.. طول الوقت.

- وتدركين؟!

فهزت رأسها وقالت فى حيرة:

- لا.. لم أكن أدرك حقيقة مشاعرك.. أعتقد أنك كنت تحبها.

- لا.. لم أكن أحبها حقاً.. كنت أتوهم أنى أحبها.. أما الحقيقة، فقد كنت أحبك أنت.. أنت فقط.. ولا أحد غيرك.

فقالت بمرارة:

- هل تزعم أنك أحببتنى من أول نظرة كما قلت لى من قبل؟!

- لا.. لا أستطيع أن أكذب عليك.. لقد أعجبت بك بعد أن عرفتك.. أعجبت بذكائك وكبريائك وحسن تربيتك وكرم أخلاقك وصفاء معدنك.. وظل حبك يتسلل الى أعماق نفسى قطرة قطرة حتى أيقنت منه حين فكرت فى أنى قد أفقدك بسبب روزمارى. إن مجرد التفكير فى فقدك أفزعنى.. أدركت فجأة اننى لا أستطيع الحياة بدونك.

فهزت رأسها فى أسف وقالت: آه لو كنت أعرف هذا كله.

- إذن ماذا كنت تظنين؟!

ـ كنت أظن أنك تفكر فى الهرب معها بعد أن يئست من التخلص منها.

أهرب مع روزماري؟! إن الحياة معها ليست إلا أشغالا شاقة مؤبدة.

ـ ألم ترغب هى فى أن تهربا معاً.؟! ألم تكن هى عاقدة العزم على الطلاق من زوجها؟

ـ نعم.. كانت مصرة على هذا.

ـ إذن ماذا حدث؟

فتنفس فى عمق وقال وهو يجد نفسه يواجه مرة أخرى تلك الذكريات الرهيبة: حدثت مأساة اللوكسمبرج.

وخيم الصمت عليهما برهة، وراح كل منهما يتذكر الوجه الأزرق المسموم الذى كان قبل لحظات يفيض بالحيوية والحياة.

وتلاقت عيونهما أخيراً، فقال ستيفن:

ـ إنسى يا ساندرا كل ما حدث.. أرجوك.. لننس ما حدث تماما.

ـ لا فائدة من النسيان.. إننا لن نستطيع أن ننسى.. لن يسمحو لنا بهذا، فماذا نفعل؟

ـ إذن لنواجه، كما قلت الآن، المشكلات معاً.. جنباً الى جنب.. لنذهب الى هذه الحفلة البغيضة أياً كان الهدف الحقيقى من ورائها.

ـ إذن فأنت لا تصدق ما يقوله جورج عن سبب إقامتها؟

ـ لا.. هل تصدقينه أنت؟

ـ أعتقد أن له هدفاً خاصاً من إقامة هذه الحفلة.. هدفاً ليس له

أدنى علاقة بإيريس.

- أتعرفين ما هو هذا الهدف؟

- لا.. ولكنى خائفة.

- من جورج بارتون؟!

- نعم، فانى أعتقد أنه يعرف.

- يعرف ماذا؟!

فأدارت رأسها ببطء حتى التقت عيناها بعينيه، ثم قالت هامسة:

- مهما يكن الأمر.. يجب أن تتذرع بالشجاعة.. إنك ستصبح رجلا عظيما يا ستيفن.. رجلا يحتاج العالم اليه.. ولن أسمح لمأساة تافهة كهذه أن تحرم العالم منك.. إننى أحبك.

- إذن فأنت تظنين أن هذه الحفلة مجرد فخ!!

- نعم، ولكن...

ثم ضحكت عالياً وأردفت قائلة: «افعلى ما تريدين يا روزمارى، فسوف ننتصر عليك».

وأمسك ستيفن بكتفى زوجته وقال:

- ساندرا.. تمالكى نفسك.. إن روزمارى ميتة!!

- أحقاً؟! ولكننى أحس أحياناً أنها لم تمت.

بين حبيبين

سارت إيريس وحدها على سفح التل المشرف على مزارع المنطقة التى يقع فيها منزل لتيل برايور وقصر آل فراداى فى فيرهافن..

وكانت تشعر بالانقباض الشديد فى ذلك اليوم من شهر أكتوبر.. إنها لا تدرى إلى أين تمضى.. إنها تريد أن تسير.. وأن تظل سائرة إلى ما لا نهاية.. إنها لا تريد أن تعود إلى منزل لتيل برايور حيث كان جورج جالساً فى انتظار صديق له.. لشد ما تشعر بالضيق من جو هذا المنزل.. ثرثرة العمة لوسيلا واضطراب جورج وشذوذ تصرفاته.. ودعوته نفس الأشخاص الذين شهدوا مأساة أختها لحضور حفلة عيد ميلادها هى.. رغم أنه لا يزال على بلوغها سن الثامنة عشر أكثر من أسبوعين.

وشعرت أخيراً بالتعب، فجلست على جذع شجرة ملقى، وراحت تنظر فى ذهول واكتئاب إلى منزل لتيل برايور وقصر فيرهافن وهما يبدوان من بعيد.. وفجأة شعرت بوقع خطوات وراءها، فالتفتت فى شىء من الخوف، وإذا هى ترى آنتونى، براون واقفاً يشعل سيجارته ويملأ صدره بأول أنفاسها.. وهتفت قائلة:

- آنتونى.. لماذا تظهر أمامى هكذا فجأة، كما يظهر الشبح فى الأساطير؟؟

فقال وهو يجلس بجانبها:

- لأنى، كما تقول الصحف، الرجل الخفى.. الذى يظهر ويختفى من حيث لا يعرف أحد.

- كيف عرفت أننى هنا..؟

- بالمنظار المقرب الذى لا يفارق جيبى.

- ولماذا لا تأتى الى المنزل كأى شخص عادى؟

- لأننى لست شخصاً عادياً.. إننى غريب الأطوار جداً.

- هذا ما أعتقده أيضاً.

ثم أردفت قائلة فى حدة:

- لماذا.. لماذا ترفض أن تزورنى فى البيت.. هنا أو فى لندن.. لا شك أن هناك سبباً!!

فهز كتفيه وقال: - ربما.. ولكن الواضح أن جورج بارتون لا يميل إلى.. فلماذا أدخل بيته!

- لا عليك من جورج بارتون.. يكفى أن تقبل دعوتى ودعوة عمتى لوسيلا للحضور.. إنها سيدة طيبة القلب،.. لا تكره أحداً.

- نعم.. أعرف هذا.. ومع ذلك لازلت مصراً على الامتناع.

فقالت ايريس وهى تحس كأن أصابع باردة تعتصر قلبها:

- ما الذى أتى بك الى هذه المنطقة اليوم.. ألديك أعمال فيها؟!

- لدى عمل مهم جداً.. معك.. لقد جئت لألقى عليك سؤالا يا ايريس. وارتفعت القبضة الباردة عن قلبها بسرعة.. وقد أدركت أنه سيطلب الزواج منها، ومن ثم نظرت إليه فى ترقب وهى تحاول أن تخفى لهفتها وقالت: حسناً...!

- أجيبينى بصراحة يا إيريس.. هل.. هل.. تثقين بى؟!

وفوجئت إيريس.. فما كانت تتوقع هذا السؤال... وأدرك هو حقيقية شعورها، فقال:

- أنا أعرف أنك لم تكونى تنتظرين هذا السؤال.. ولكنه سؤال مهم جداً أهم سؤال فى الدنيا بالنسبة إلى.. وإنى ألقيه عليك مرة أخرى.. هل تثقين بى؟!

فترددت برهة، ثم أغمضت بعينيها وقالت: نعم...

- إذن سألقى عليك سؤالا ثانياً.. هل تأتين معى الى لندن لتتزوجى بى دون أن يعرف أحد.. الآن على الأقل.

فنظرت إليه فى دهشة وقالت:

- ولكننى لا أستطيع.. لا أستطيع أبداً.

- لا تستطيعين أن تتزوجى منى؟!

- أعنى بهذه الطريقة.

- ومع ذلك فأنت تحبيننى.. إنك تحبيننى يا ايريس أليس كذلك؟!

- نعم.. أحبك يا آنتونى.

- ولكنك ترفضين الذهاب معى الى لندن حيث نعقد زواجنا شرعاً فى الكنيسة.

- كيف أفعل هذا بغير إذن جورج.. إننى أجرح شعوره.. وعمتى لوسيلا لن تغفر لى مثل هذا الطيش.. أبداً.. ثم لا تنسى إننى لم أبلغ السن التى أستطيع فيها أن أتزوج برغبتى فأنا فى الثامنة عشرة فقط.. ويجب أن أظفر أولا بموافقة الوصى على.

- عليك أن تكذبى فى مسألة السن.. وأنا لا أدرى عقوبة هذا الكذب، ولكنى مستعد أن أتحمل العقوبة وحدى.. من هو الوصى عليك.. الوصى الذى يجب أن يأذن لك بالزواج؟!

- مهما تكن العقوبة، فهى لن تزيد عن غرامة مالية.. وسوف أدفعها أنا.. والمهم أنهم لن يستطيعوا فسخ عقد الزواج.

فهزت إيريس رأسها وقالت:

- إننى لا أستطيع أن أفعل هذا يا آنتونى.. ثم لماذا نتزوج سراً؟!

- لهذا سألتك أولا هل تثقين بى.. فلن أستطيع الآن أن أخبرك بالسبب.. ربما فيما بعد.. فما رأيك.

فقالت فى تردد: لو أن جورج فقط يعرفك كما ينبغى.. تعال معى الآن الى البيت.. فانه الآن هناك مع عمتى لوسيلا فقط.

- أواثقة أنت من هذا؟ لقد رأيت من بعيد وأنا أصعد سفح التل رجلا فى طريقة الى منزلكم.. ويخيل لى أنى رأيت هذا الرجل.. من قبل.. بل أعتقد أنى رأيته فعلا.

- آه.. نسيت.. لقد قال لى جورج انه ينتظر شخصاً معيناً.

- إن الرجل الذى رأيته فى الطريق إليكم هو الكولونيل ريس.

- ربما.. فان جورج يعرف رجلا بهذا الاسم.. كان مدعواً، ثم اعتذر، فى حفلة.. الحفلة.. التى ماتت فيها روزمارى.

ثم توقفت عن الحديث فجأة بعد أن ارتعد صوتها.. وأمسك أنتونى بيدها قائلا: أوه.. لا داعى لأن تتذكرى.. تتذكرى ما حدث.. إن الأمر جد فظيع.. إنى أعرف شعورك.

- إننى لا أستطيع.. آنتونى.. ألم يخطر ببالك يوماً.. ألم تفطن.

ثم حاولت أن تبحث عن الكلمات لما تريد أن تقول، ثم أردفت قائلة: - ألم تفكر لحظة فى أنها.. لم تنتحر.. وإنما.. قتلت؟!

- يا للسماء؟! من أوحى إليك بهذه الفكرة يا إيريس؟!

- أجبنى.. ألم يخطر ببالك هذا الاحتمال؟!

- طبعاً لا. لقد ماتت روزمارى منتحرة.. من الذى يوحى إليك بهذه الآراء؟!

وكادت أن تخبره. أن تذكر له حديث جورج والرسالتين المجهولتين.. ولكنها امتنعت، ثم قالت ببطء: - إنها.. مجرد فكرة خطرت ببالى.

فتناولها بين ذراعيه وقبل وجنتيها قائلا:

- إذن لا تفكرى فى هذا الأمر مرة أخرى.. لا تفكرى فى شىء آخر.. غيرى!



الفــخ...

أخــذ الكولونيل ريس ينفث دخــان بيـبتـه وينظـر الى صـديقـه جــورج بارتون فى إمــعــان وترقـب.. وكــان يعرف جورج منذ طفولته..

أى منذ كـان جـاراً لأبيـه.. وكـان جـورج دائمـاً فى نظره «جـورج الصـغيـر» حتى بعد بلوغه الأربعـين من عـمـره.. أما الكولونيل فكان يقترب من الستين.

ولم يكن يدرى فى تلك اللحظة، مـاذا يريد منه جورج أو لماذا دعـاه الى هذه الزيارة، فـقد كانا رغم صداقـتهـما التى نشـأت بحكم الجيرة القديمة، يختلفان فى التفكير، وفى النظر الى الأمور.. كان جورج هادئ الطبع، متوسط الذكاء، رجل أعمال ممتاز، مدنى الطباع، أما الكولونيل، فكان عسكرياً فى مظهره، وتفكيره، ومزاجه.. وطريقة حياته.

ولما طال الصمت بينهما أثناء زيارة الكلونيل لجـورج فى منزل ليتل برايور، قال له الكولونيل وهو يتنارل البيبة من فمه:

- مـاذا بك يا جورج الصغير؟! أراك مضطرباً.

- نعم.. إننى جـد مـضطرب.. أحـوج مـا أكـون الى النصــيـحـة

والمشاعدة فأومأ الكولونيل برأسه وانتظر.. واستطرد جورج يقول:

- منذ عام تقريباً.. كنت مدعواً لتناول العشاء معنا فى مطعم اللوكسمبرج بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد روزمارى.. ولكنك اعتذرت وسافرت الى الخارج فى آخر لحظة.

- نعم.. سافرت الى جنوب أفريقيا.

- وفى هذه الحفلة.. ماتت زوجتى روزمارى.

فأومأ الكولونيل ريس برأسه وقال: نعم.. أعرف ذلك.. قرأت النبأ فى الصحف.. ولم أشأ أن أقدم اليك التعازى الآن حتى لا أثير الذكريات.. ولكننى، كما تعرف، جد آسف محزون.

- شكراً. شكراً.. ليس هذا ما أهدف اليه.. لقد ظن الجميع أن زوجتى ماتت منتحرة.

- ظن الجميع؟!

- إقرأ هاتين الرسالتين المجهولتين.

وبعد أن قرأ الكولونيل الرسالتين، قال وهو يهز رأسه: من المعتاد أن يرسل بعض المجهولين مثل هذه الرسائل السخيفة عقب الأحداث المثيرة، هذه طبيعة بعض الناس.. يهوون الصيد فى الماء العكر!

- ولكن الرسالتين أرسلتا إلى بعد ستة أشهر من الحادث.

- هذه مسألة أخرى.. حسناً.. من تظن المرسل؟!

- إننى لا أدرى، ولا أهتم بشخصية المرسل. المهم إنى أعتقد بصدق ما ورد فى هاتين الرسالتين. إن زوجتى لم تنتحر. وإنما قتلت.!

فوضع ريس بيبته على المنضدة أمامه، واعتدل فى مقعده، وقال:

- ما سبب هذا الاعتقاد؟ هل كنت ترتاب فى أحد بعد وقوع الحادث.. هل يشك رجال البوليس؟

- كنت فى حالة ذهول تام بعد وقوع الحادث.. كنت فى حيرة شديدة، فلم يسعنى إلا أن أتقبل قرار قاضى التحقيق بأن الحادث انتحار بلا مناقشة.. فقد كانت زوجتى لاسيما حين عثرنا على السم فى حقيبة يدها.

- أى نوع من السموم؟!... سيانيد.

- آه.. تذكرت.. لقد تناولته فى كأس من الشمبانيا.

- نعم.. هذا ما بدا لنا جميعاً فى حينه.

- هل سبق لها أن هددت يوماً بالانتحار؟!

فقال جورج بلهجة تأكيد: لا.. أبداً.. أبداً.. كانت روزمارى تحب الحياة حب عبادة فأومأ ريس برأسه وهو يذكر آخر مرة رأى فيها روزمارى المرحة المحبة للحياة ثم قال: وماذا قال الطبيب الشرعى عن حالتها النفسية والعقلية قبيل الحادث؟!

- كان الطبيب الخاص لروزمارى.. وهو طبيب عائلة مارل الذى كان يعالج الأسرة منذ كانت روزمارى وايريس طفلتين.. كان هذا الطبيب فى رحلة بحرية عند وقوع الحادث.. أما شريكه، وهو طبيب شاب فكان يعالج روزمارى من الأنفلونزا، فقد قال، على ما أذكر، أنها أصيبت بهذا النوع من الأنفلونزا الذى يترك أثراً عميقاً فى الأعصاب مما يجعل المريض يشعر بالانقباض الشديد وهو فى دور النقاهة.

وتوقف جورج عن الحديث برهه قبل أن يستطرد قائلا:

- ولم أتحدث مع طبيب روزمارى الذى أشرف على علاجها إلا بعد

أن استلمت هاتين الرسالتين.. ولم أخبره طبعاً بأمرهما.. وإنما شرعت أبحث معه كل الاحتمالات التى أدت الى موتها.. وقد أعرب لى عن دهشته لما حدث، قال بصراحة إنه لا يعتقد أبداً أن روزمارى من النوع الانتحارى.. وهكذا ازددت يقيناً أن روزمارى لم تنتحر.. وإنما.. قتلت.

فقال الكولونيل ريس بصوت خافت:

- ألا يمكن أن تكون هناك أسباب أدت الى كراهيتها للحياة؟!

فتحاشى جورج نظرات صديقه وغمغم قائلا: لا أظن.. ولكنها كانت فى الأيام السابقة على وفاتها متعبة الأعصاب بعض الشىء.

وصمت برهة ثم قال: وأهم من هذا كله أن روزمارى لو أرادت الانتحار لما لجأت الى هذه الطريقة المؤلمة.. فالمعروف أن سم السيانيد يسبب آلاماً لا تطاق.. وقد كان فى مقدورها إذا أرادت الانتحار أن تتناول جرعة كبيرة من مادة منومة.. فتموت بغير ألم.

- ألم يهتد رجال البوليس الى المصدر الذى حصلت منه على السيانيد؟!

- لا.. ولكنها مكثت مع أصدقائها فى الريف بضعة أيام.. والريفيون يستخدمون سم السيانيد فى القضاء على الدبابير.. وقد ظن الجميع أنها حصلت على هذا السم من الريف.

- هذا محتمل.. فمن السهل على أى إنسان أن يحصل على كمية من أملاح السيانيد من كشك أى مزارع أو بستانى.

- ولكننى أصبحت موقنا تماماً أنها لم تنتحر رغم كل القرائن الظاهرية.

- هل تشك فى شخص معين؟!

فقطب جورج جبينه وقال:

- هذا أفظع ما فى الأمر كله.. إذا كانت روزمارى ماتت مقتولة، فلابد أن يكون قاتلها واحداً ممن كانوا معنا حول المائدة فى تلك الليلة، لأنه لم يقترب شخص غريب منا.

- لا تنس الجرسونات.. من الذى كان يملأ لكم كؤوس الشراب!

- إنه تشارلس، المتردوتيل فى اللوكسمبرج.. أتعرف تشارلس؟

وأومأ الكولونيل برأسه. فكل إنسان من المترددين على اللوكسمبرج يعرف تشارلس المتردوتيل أنه آخر من يفكر فى قتل أحد المترددين على المطعم.

وعاد جورج بارتون يقول: أما الجرسون الذى كان يقوم على خدمتنا أثناء الطعام فهو جوزيب الايطالى، ونحن نعرف جوزيب جيداً، وأنا أعرفه شخصياً منذ سنوات، وهو دائماً يقوم على خدمتى كلما ذهبت الى اللوكسمبرج، رجل طيب القلب، باسم الوجه، مرح.

- حسناً.. من هم المدعوون الذين كانوا حول المائدة فى الليلة!!

- ستيفن فراداى عضو مجلس العموم وزوجته الليدى الكسندرا، وسكرتيرتى روث ليسنج، وشاب يدعى أنتونى براون، وإيريس أخت روزمارى، وأنا.. سبعة أشخاص، ركان من الممكن أن نكون ثمانية لو أنك لم تعتذر عن الحضور.

- حسنا يا جورج.. من تظن أنه القاتل من هؤلاء جميعاً؟!

- إننى لا أدرى.. لا أدرى أبدا.. لو كانت لدى أية فكرة.!

- لا تزعج نفسك يا جورج. لقد خطر لى أنك تشك فى أحد المدعوين. حسنا. هلم نتحدث الآن فى ترتيب جلوسكم، ولتبدأ بنفسك.

- كانت المائدة مستديرة، وكنت جالساً والكسندرا فراداى على

يمينى، وبجانبها أنتونى براون، ثم روزمارى، ثم ستيفن فراداى، ثم روث ليسنج التى كانت تجلس عن يسارى.

- حسناً. وزوجتك هل شربت شمبانيا فى أول الحفلة؟

- نعم، لقد ملئت الكؤوس بضع مرات، أما الحادث فقد وقع أثناء فاصل الكباريه فى قاعة المطعم.. كان أحد الزنوج يرقص على نغمات الجاز الصاخبة، وكنا جميعاً نرقبه.. وقد تهالكت روزمارى بنصفها الأعلى على المائدة قبيل أن تستطع الأنوار مرة أخرى فى المطعم. فقد كانت الأنوار قد خفتت فى جوانب القاعة الكبرى لتركز على المسرح الصغير القائم فى الوسط، فلما عادت الى السطوع رأينا روزمارى تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولعلها شهقت أو توجعت، ولكننا لم نسمع شيئاً بسبب ضجة الكباريه.. وقد قال الطبيب إن الموت حدث فى لحظات.. حمداً لله على أنها لم تتعذب طويلا.

- نعم، نعم.. حسناً يا جورج.. إن الأمر جد واضح الآن.

- ماذا تعنى؟!

- ستيفن فراداى طبعاً.. كان جالساً على يمينها، أى أن كأسها كان جد قريب منه، ولم يكن أسهل عليه من وضع السم فيه بمجرد خفوت الأنوار فى القاعة وانشغال الجميع بالنظر الى فاصل الكباريه.. وأنا أعرف تماماً موائد اللوكسمبرج.. إنها كبيرة.. ولم يكن فى مقدور شخص آخر أن ينحنى ويضع السم فى كأسها دون أن يراه أحد.. وهناك احتمال آخر.. ولكن.. لنبحث أولاً أمر ستيفن فراداى.. هل هناك أى باعث يدفعه للقضاء على روزمارى؟!

- كانا صديقين حميمين.. فاذا كانت روزمارى قد أرادت قطع

صلته بها، فربما عمد الى الانتقام.

- أتعتقد أن هذا هو الباعث الوحيد؟!

فاضطرم وجه جورج بالاحمرار، وغمغم قائلا: نعم، نعم..

- حسناً.. لننظر فى أمر الاحتمال الثانى.. إحدى السيدات.

- لماذا السيدات؟!

- ألم تلاحظ يا عزيزى جورج أن جماعتكم كانت تضم أربع نساء، وثلاثة رجال، ومعنى هذا أنه لابد أن تبقى واحدة منهن على المائدة حين يرقص الرجال الثلاثة مع ثلاث نساء!!

- نعم، هذا ما حدث فعلا.

- حسناً.. هل تذكر من من السيدات كانت جالسة وحدها الى المائدة قبل فاصل الكباريه؟!

وأخذ جورج يمعن التفكير برهة، ثم قال: كانت إيريس وحدها قبل الكباريه على المائدة.. وقبلها كانت روث ليسنج!

- هل تذكر آخر مرة شربت فيها زوجتك من كأسها قبل أن تشرب السم؟!

- دعنى أتذكر.. آه.. نعم.. كانت تراقص أنتونى براون، ثم جاءت وقالت إن مراقصة أنتونى متعبة لأنه راقص غريب الأطوار، ثم شربت جرعة من كأسها.. وبعد دقائق عزفت الموسيقى رقصة فالس، فنهضت وراقصت روزمارى، لأنها كانت تعلم أننى لا أجيد غير رقصات الفالس. وكان فراداى يراقص روث ليسنج، وليدى الكسندرا تراقص أنتونى براون.. وهكذا بقيت إيريس وحدها.. وبعد هذا بدأ فاصل الكباريه مباشرة..

- إذن لنبحث كل الاحتمالات التى تدور حول شقيقة زوجتك.. هل تستفيد مالياً من وفاة شقيقتها؟!

- لا تكن متسرعاً فى حكمك يا عزيزى ريس.. إن إيريس مجرد طفلة، تلميذة بالمدرسة.

- أعرف تلميذتين ارتكبتا جريمتى قتل.

- ولكن.. إيريس؟! هذا مستحيل.. لقد كانت تقدس روزمارى.

- ولو.. لقد كانت الفرصة متاحة لها لوضع السم فى كأس أختها أثناء انفرادها على المائدة.. فهل هناك ما يدفعها الى ارتكاب جريمة كهذه؟! أعتقد أن زوجتك كانت ثرية جداً.. فهل انتقلت ثروتها اليك بصفتك الزوج.. أقرب الناس اليها؟!

- لا.. بل انتقلت إلى إيريس، طبقاً لشروط الوصية.

وبعد أن شرح الأمر قائلا إن العم بول بنيت اشترط الثروة كلها بعد وفاة روزمارى - دون ذرية - الى إيريس.. قال الكولونيل:

- هذا وضع غريب، مثير.. الأخت الغنية، والأخت الفقيرة.. إن بعض الأخوات يثرن على هذا الوضع.. لايرضين بهذا الظلم.

- أنا واثق أن إيريس لم تكن ثائرة، أو غاضبة، أو حاقدة.

- ربما.. ولكن الباعث موجود لديها.. فهل هناك أحد آخر لديه أى باعث على قتلها؟!

- لا، أبداً.. لم يكن لروزمارى عدو فى هذه الدنيا.. إنى واثق من هذا.. وقد اشتريت هذا البيت بالقرب من آل فراداى، لكى...

وتوقف فجأة عن الحديث.. وتناول ريس بيبته من فمه وقال:

- ألا يحسن يا جورج أن تخبرنى بكل شىء؟!

- ماذا تعنى؟!

- إنك تخفى عنى شيئاً.. هذا واضح جداً.. إنك تحاول أن تدافع عن سمعة زوجتك.. فكيف يتفق هذا مع معرفة حقيقة مأساتها؟!

- حسناً.. لسوف أصارحك بكل شىء.

- إن لديك من الأسباب ما يجعلك تعتقد أنه كان لزوجتك. حبيب!!

- نعم.. ستيفن فراداى؟

- أقسم لك أننى لم أتأكد بعد.. قد يكون ستيفن، وقد يكون ذلك الشخص الآخر براون، لا أعرف على وجه التحديد، فأنا فى دوامة من العذاب.

- ماذا تعرف عن أنتونى براون هذا.؟ يخيل إلى أنى سمعت اسمه من قبل.

- لا أعرف شيئاً عنه.. ولا أحد يعرف.. إنه شاب وسيم مرح يقال إنه أمريكى وإن كانت لهجته خالية تماماً من اللكنة الأمريكية.

- لعل السفارة الأمريكية تعرف عنه شيئاً.. حسناً.. ألم تتأكد بعد أى الرجلين هو الحبيب؟!

- لا.. أبداً.. لقد رأيتها تكتب رسالة غرامية، وقد قرأت العبارة الأولى على النشافة ولكن لم يكن بها أى إسم معين.

فأشاح الكلونيل ريس بعينيه عن وجه جورج ثم قال:

- إننا الآن نتقدم قليلا.. فمثلا أعتقد أن الليدى الكسندرا من نوع النساء اللتى لا يترددن فى ارتكاب أية حماقة.. جريمة.. إذا علمن أن أزواجهن يخونونهن.. إن هدوءها الظاهرى يخفى عنفاً رهيباً فى الانفعالات النفسية.. والآن لدينا هذا الشخص الغامض أنتونى براون،

وستيفن فراداى، وزوجته، وإيريس مارل.. فماذا عن روث ليسنج؟

ـ ليس لروث أى شأن بالموضوع كله.. ليس هناك أى باعث يدفعها لقتل روزمارى.

ـ إنها سكرتيرتك كما تقول.. فأى نوع من الفتيات هى؟!

ـ إنها أعز وأغلى شىء فى حياتى.. إنها تقريباً عضو فى الأسرة.. إنها ساعدى الأيمن، ولست أقدر انسانا كما أقدرها هى.

ـ أتميل إليها؟!

ـ إنى أقدسها.. إنها يا ريس فتاة مكتملة من جميع النواحى، وإنى أعتمد عليها فى كل شىء.. إنها أعز إنسان لدى فى الحياة.

فغمغم ريس بكلمات غامضة ولم يستطرد فى الحديث مع جورج، وإنما قال لنفسه «إنها يا عزيزى الغبى قد تكون أعز إنسان لديك فى الوجود، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون الباعث على قتل روزمارى متوفراً لديها.. لعلها قد أدركت، وأيقنت، أن مكانها الطبيعى فى الحياة، هو أن تكون زوجتك.. ولن يتحقق هذا الأمل إلا بإزالة روزمارى من الوجود».

ثم قال الكلونيل ريس بصوت واضح النبرات:

ـ حسناً.. لا تنس يا جورج أن لديك أنت أيضاً الباعث على القتل.

ـ أنا؟!! نعم.. أتذكر موقف عطيل وديدمونة؟. ألم يقتلها من فرط الغيرة برغم حبه العنيف لها؟!

ـ إذا كنت أنا قاتلها، فلماذا أحاول نبش الموضوع من جديد بعد أن انتهى كل شىء؟!

- لهذا السبب ترانى لا أتهمك جديا يا جورج.. فلو كنت أنت القاتل، واستلمت هاتين الرسالتين لأحرقتهما، وتكتمت الأمر لاسيما بعد أن قرر القاضى أن الحادث انتحار.. وبهذه المناسبة، من هو ذلك المرسل المجهول؟

- أننى لا أعرف.. مطلقاً.

- أولا، ليس من المعقول أن يكون القاتل هو مرسل الخطابين.. من يكون إذن؟. أحد الخدم؟!

- ربما.. كل شىء محتمل.

- هل كانت لروزمارى وصيفة خاصة تفضى اليها بأسرارها؟

- لا.. إن لدينا طاهية، هى مسز باوند، ولا تزال مقيمة معنا.. وكان لدينا خادمتان أيام روزمارى، وأعتقد أنهما تركتا الخدمة أخيراً.

- اسمع يا جورج.. إذا أردت نصيحتى، فانى أنصحك بعدم الاستمرار فى بحث هذا الموضوع، فاذا كانت الأدلة غير متوافرة على انتحارها.. فهى أيضا أقل توافراً على ارتكاب أحد جريمة قتلها.. وأن محاولاتك هذه للوصول الى الحقيقة لن تعيد اليها الحياة.. بل سوف تؤدى إلى نشر فضائح أنت فى غنى عنها.. يجب أن تحافظ على سمعة زوجتك، لاسيما بعد وفاتها.

فجفل جورج برهة، وقال بعنف: أتريد أن يضيع دمها هدراً.. أتريد أن أترك قاتلها يستمتع بالحياة بعد أن قضى عليها وهى فى أوج الشباب والجمال.. أتريد أن اترك - مثلا - رجلا مثل فرادای بعجرفته ونفحته يرتفع ويتألق ويتزعم الناس، وهو، فى حقيقة أمره قاتل أثيم؟!

- إننى أريد أن أبين لك مساوىء الاستمرار فى نبش الموضوع.

- إنى أريد الحقيقة.

- إذن يجب ان تذهب بالرسالتين الى رجال البوليس، وفى مقدورهم أن يصلوا الى المرسل المجهول.. ولا شك أنه يعرف شيئاً عن القاتل.. ولكن.. ثق أن رجال البوليس إذا شموا رائحة جريمة فى هذه المأساة، فلن يتراجعوا حتى يصلوا الى الحقيقة كاملة مهما كانت الفضائح الشخصية التى ستنشر فى الصحف.

- إننى لن ألجأ الى البوليس.. ولهذا أردت أن أتصل بك.. لقد رسمت خطة للايقاع بالقاتل.

- ماذا تعنى بحق السماء؟!

- اسمع.. إننى سأقيم حفلة عشاء فى اللوكسمبرج.. وأرجو أن تحضرها.. وسيكون المدعوون اليها هم أنفسهم الذين حضروا حفلة روزمارى فى العام الماضى: فرادای وزوجته، أنتونى براون، روث ليسنج، إيريس، وأنا.. لقد أحكمت صنع الفخ.

- ماذا تنوى أن تفعل؟!

فأرسل جورج ضحكة خفيفة وقال: هذا سرى الخاص.. ولن افضى به الى أحد - حتى أنت - لكيلا تفشل الخطة.. إن نجاحها يتوقف على قوة المفاجأة وسرعتها وأثرها العنيف على أعصاب القاتل.. فاذا تسرب أى جزء من السر، انتهت الخطة بالفشل.

- إسمع يا جورج.. إننى لا أوافق على هذا اللعب بالنار.. إن الكشف عن الجرائم لا يتم بالمفاجآت المسرحية.. إن له رجالا تخصصوا فيه، وليس أدعى الى الفشل فى الكشف عن غموض أية

جريمة من تدخل الهواة.

هذا هو السبب الذى دفعنى الى دعوتك.. فأنت لست من الهواة.

- أتعتقد يا عزيزى أننى متخصص فى الكشف عن مثل هذا النوع من الجرائم لأنى كنت فى يوم ما مديراً لمكتب مكافحة الجاسوسية.؟! وإذا كان الأمر كما تعتقد فلماذا لا تخبرنى بتفاصيل الخطة حتى أعمل على ضوئها.؟!

- لا أستطيع الآن.. على الأقل.

- إذت فلن أحضر الحفلة، ولن أوافق على أية خطة تضعها بغير إذن من رجال البوليس. ويحسن أن تصرف النظر عن هذا الموضوع نهائيا.

- كن عاقلا يا جورج.. إن مثل هذه المفاجآت السرحية تنطوى على خطر شديد.. إذا كانت روزمارى ماتت مقتولة، فان قاتلها لن يقع بسهولة بين يديك.. إن الأمر جد خطير.

- سيكون خطيرا بالنسبة لشخص معين.

- إنك لا تدرى يا جورج خطر ما تنوى أن تفعله.. حسناً.. لا تقل إنى لم أحذرك وإنى لآخر مرة أنصحك بالعدول عن خطتك.

ولكن جورج بارتون هز رأسه فى عناد.



رسالة من الخارج

أسفر صباح اليوم الثانى من شهر نوفمبر مبللا ملبداً بالضباب..

وكان الجو لا يقل تلبداً وانقباضاً فى منزل الفاستون سكوير عنه فى الخارج.. فقد كانت لوسيلا دريك لا تكف عن الثرثرة والولولة لأن ابنها فكتور أرسل برقية من بيونس أيريس يقول فيها إنه فى حاجة عاجلة إلى مئة جنيه وإلا قبض عليه وأودع السجن. ولم تهدأ الأم الجزعة إلا حين قال جورج وهو ينهض عن مائدة الافطار إنه سيطلب من روث ليسنج إرسال برقية إلى عمله الخاص أو جليفى بيسرتش أيريس ليتحرى الأمر.. فاذا كان فكتور صادقاً، أرسل إليه المبلغ على جناح السرعة أو كلف أو جليفى بدفعه إليه فوراً..

وفيما هو يغادر البيت، وتبعته أبريس إلى الباب الخارجى وقالت له: ـ ألا يحسن يا جورج أن نؤجل حفلة الليلة إلى موعد آخر.. فإن عمتى لوسيلا تشعر بالاضطراب والقلق الشديد على ابنها.. "

فاضطرم وجه جورج وقال:

ـ لا.. لا.. كيف نسمح لشاب مدلل فاسد الأخلاق أن يؤثر على حياتنا؟! على كل حال سوف أسوى هذه المسألة قبل موعد الحفلة..

إطمئنى.. تأكدى أنها ستأوى الى فراشها سعيدة.. وإذا لزم الأمر فسوف نصحبها معنا الى الحفلة.

- لا.. إنها تكره المطاعم والملاهى ويغلب عليها النوم إذا ذهبت إليها.

- حسناً.. اذهبى وأكدى لها إننى لن أتخلى عن ابنها فكتور إكراماً لها.

واستدارت ايريس، بعد انصرافه، وعادت الى قاعة الطعام حيث سمعت جرس التليفون يرن. فلما تناولت السماعة، وأنصتت الى الصوت، تحولت أمارات القلق واليأس إلى بهجة وسرور.. فقد كان المتحدث آنتونى براون.. وكان يقول: إسمعى يا ايريس.. إننى لا أفهم لماذا يلح جورج علىّ لحضور حفلة الليلة.. ماذا يقصد، هل أنت التى تدفعينه الى هذا الالحاح.

- لا.. لا.. أبداً.

- هل غير رأيه عنى؟!

- ربما.. ربما..!

- ماذا بك يا إيريس.. إنى ألاحظ بعض الاضطراب فى صوتك.

- لا شىء.. لا شىء.. ولكن أريد أن تجيبنى بصراحة يا تونى على هذا السؤال.

- أى سؤال..!

- هل كنت تحب روزمارى حباً حقيقياً؟! وهل كانت تبادلك مثل هذا الحب؟!

وصمت آنتونى برهة، ثم قال ضاحكاً!

ـ الحقيقة يا إيريس إننى أحببتها فى أول الأمر.. فقد كانت، كما تعلمين، باهرة الجمال، ثم حدث ذات يوم وأنا أتحدث معها أن رأيتك تهبطين السلم، وعندئذ أدركت فوراً أنك أنت.. أنت فقط التى خفق لها قلبى بأطهر وأقوى وأسمى حب فى الوجود.. هذه الحقيقة يا ايريس.. إن رميو نفسه قد أحب روزالين قبل أن يلتقى بجولييت.

ـ شكراً يا تونى.. انى الآن سعيدة.

ـ سأراك الليلة.. إنها حفلة عيد ميلادك.. أليس كذلك؟!

ـ نعم.. ولكننى سأبلغ الثامنة عشرة تماماً بعد أسبوع.

ـ حسناً.. لقد اشتريت هدية متواضعة يا ايريس.. الى اللقاء.

واستدعى جورج بارتون سكرتيرته روث الى غرفته الخاصة بمكتب إدارة أعماله بعد وصوله مباشرة، وقال لها، بعد أن تبادل معها تحية الصباح، وهو يطلعها على برقية فكتوردريك.

ـإننى لن أرسل إليه هذا المبلغ إلا بعد أن أقوم بالتحريات عنه.

ـ أتعنى إرسال برقية إلى عميلنا أو جليفى فى بيونس ايريس؟!

ـ نعم.. إرسلى إليه برقية حالا.. فان مسز دريك شديدة القلق على ابنها.. إننى أخشى أن تفسد علينا جو الحفلة الليلة.

ـ هل تحب أن أبقى بجانبها لأهدئ من نفسها؟!

ـ لا لا. إننى أريد أن تكونى بجانبى فى هذه الحفلة.. فإنى أعتمد عليك.. وعلى إخلاصك.

ـ حسناً.. ما رأيك لو أنى اتصلت تليفونياً بأوجليفى وعرفت

الموضوع كله فوراً.. أليست هى وسيلة أسهل وأسرع!!

- مؤكد.. مؤكد.. يا لك من ذكية بارعة يا روث.

- شكراً.. لسوف أقوم فوراً بالاجراءات اللازمة للاتصال التليفونى.

وبعد أن قام جورج بتصريف أعماله العاجلة، غادر المكتب فى تمام الساعة الثانية عشرة واستقل تاكسياً الى اللوكسمبرج حيث استقبله المتردوتيل تشارلس قائلا: لقد قمنا بجميع الترتيبات اللازمة يا مستر بارتون بناء على تعليمات...

- هل أعددتم المائدة نفسها فى نفس المكان من ركن القاعة؟!

- نعم..

- والزهور المسماة «روزمارى».

- نعم.. كان المدير يريد أن يضع معها بعض أزهار الكرير نتيوم.

- لا لا، أريد فقط أزهار روزمارى.

- حسناً يا سيدى.. وأحب أن أعرب لك يا مستر بارتون عن مبلغ سرورنا جميعاً لعودتك الى اللوكسمبرج بعد الحادث المؤسف.

- شكرا يا تشارلس.. إن الإنسان بطبيعته لا يستطيع أن يعيش على الماضى.. لقد انتهى كل شىء.. والحمد لله على كل حال.

وانصرف جورج من اللوكسمبرج وهو يبتسم فى رضى، ثم تناول طعام الغداء فى ناديه الخاص، ثم حضر اجتماع مجلس إدارة إحدى الشركات، وفى أثناء عودته الى المكتب عرج على تليفون عمومى، فتحدث الى شخصية معينة، ثم غادر التليفون وهو يتنهد فى ارتياح،

ولما وصل الى المكتب، قال له روث: إن الأخبار عن فكتور دريك سيئة جداً؟! إنه متهم بالاختلاس من أموال الشركة التى كان يعمل بها، وقد بلغت المبالغ المختلسة مائة وخمسين جنيهاً.

- هل قال لك أو جليفى هذا؟!

- نعم.. فقد طلبت مكالمته تليفونياً فى هذا الصباح وتمت المكالمة بعد الظهر.. ثلاث دقائق، وقد أكد لى أنه استطاع اقناع المسئولين بالشركة تأجيل استصدار أمر بالقبض على فكتور حتى تصدر إليه تعليماتنا.

- وماذا قلت له؟!

- طلبت منه أن يدفع المبلغ ويسوى الأمر على أن نرسل إليه المائة وخمسين جنيهاً فى أقرب فرصة.

فأشرق وجه جورج بالرضى وقال:

- حسناً فعلت يا روث.. فليس فى وسعنا إلا احتمال هذا الابن الفاسد إكراماً لأمه.

- إنك يا مستر بارتون أكرم إنسان فى الدنيا.. إننى لم أر فى حياتى رجلا فى كرم أخلاقك ولطف شمائلك.

- وأنت يا روث.. أنت.. هل توجد فى الدنيا فتاة تضارعك ذكاء.. وبراعة.. ومقدرة.. وحسن منظر.

وفيما هو ينظر اليها فى إعجاب يبلغ درجة الحب، خطر بباله أن يعدل فجأة عن تنفيذ الخطة، وينسى كل شىء عن روزمارى.. ولكن.. لا.. لقد حدد موعد الحفلة.. التاسعة والنصف.. فلا مفر.

الواقع فى الفخ

وحضر الجميع الحفلة. وتنهد جورج بارتون فى ارتياح.. فقد كان حتى آخر لحظة، يخشى أن يتخلف أحد..

ولكنهم حضروا جميعاً.. ستيفن فراداى بنفخته وعجرفته، وزوجته بكبريائها وتعاليها وهدوء وجهها، وايريس ببراءتها وطهرها، وآنتونى براون بوسامته وغموضه، وروث ليسنج بأناقتها وذكائها.

اجتمعوا كلهم بالقرب من فخ جورج بارتون. وبعد قليل.. ستحدث المفاجأة.

وأقبلت السيدات من غرفة الزينة، كما حدث فى الحفلة السابقة، وجلسن مع الرجال حول المائدة المستديرة نفسها.. فى نفس ركن القاعة.. الركن المحتوى على ثلاث موائد.. مائدتهم الكبيرة.. فى الوسط.. واثنتان أصغر على جانبها.. كان جالساً الى الأولى رجل فى منتصف العمر تبدو عليه سمات الأجانب، ومعه غانية شقراء.. وإلى الثانية شاب فى ميعة الصبا وفتاة جميلة يبدو عليها بوضوح أنها خطيبته أو عروسه.

ورتب جورج بلباقة أماكن جلوس مدعويه حول المائدة الكبيرة

المستديرة ثم قال: ساندرا.. هل تسمحين بالجلوس هنا.. عن يمينى.. ثم براون بجانبها.. أما أنت يا عزيزتى ايريس، فهى حفلتك.. تعالى واجلسى عن يسارى.. وبجانبك يجلس فراداى ثم روث.

وتوقف برهة.. فقد كان بين روث وآنتونى براون مقعد خال.. مقعد لشخص سابع ومن ثم قال جورج شارحاً الأمر:

ـ إن الكلونيل ريس سيحضر.. ربما متأخراً عن الموعد.. وقد طلب منى ألا تنتظره طويلا، لأنه سوف يحضر بمجرد أن يفرغ من بعض الشواغل العاجلة.. إنه رجل لطيف وأحب أن أعرفكم به.. فقد طاف بمعظم أنحاء الدنيا، وأحاديثه مثيرة ممتعة الى حد كبير.

وقطبت ايريس جبينها لأن جورج لم يجلسها بجانب آنتونى براون مباشرة.. ومعنى هذا أنه لا يزال يكره آنتونى ولا يثق فيه.

ودارت الأحاديث العادية فى مثل هذه المناسبات.. وبعد الجزء الأول من الطعام، شرع الجميع يتراقصون على نغمات الفالس.. ولما جاء دور ايريس لتراقص آنتونى، قالت شاكية:

ـ إنى غاضبة من جورج لأنه لم يجلسنى بجانبك.

ـ خيراً فعل.. فإنى أستطيع من مكانى أن أراك أفضل مما لو كنت بجانبك.

وبعد أن انتهت الرقصة عاد الى المائدة.. وبدأ جو التوتر المخيم على المدعوين يخف رويداً مع مرور الوقت.. ولكن الأعصاب لم تلبث أن بدأت تستفز مرة أخرى حين رأى المدعوون جورج وهو يلقى نظرات غامضة نحو المقعد الخالى.. ثم يبتسم خفية.

ورأته ايريس وهو ينظر فى ساعته. وفجأة دوى جو القاعة قرع الطبول، وخفتت الأضواء استعداداً لفاصل الكباريه، وتراجعت المقاعد بعيداً عن وسط القاعة حيث تقدم للرقص ثلاثة شبان مع ثلاث فتيات.. وكانت رقصاتهم أقرب الى الألعاب البهلوانية منها الى أى شىء آخر.. وأعقبهم مضحك يحسن تقليد الأصوات المختلفة.. فقلد أصوات القطارات، والبواخر، والطائرات، وماكينات الخياطة، والثيران والبقر.. وبعد بضع نمر أخرى، سطعت الأنوار.

وأطرف الجميع بعيونهم.. وتنفس فى ارتياح جميع الجالسين حول مائدة جورج بارتون وكأنهم كانوا - فى أعماق نفوسهم - يتوقعون أن يجدوا أحدهم جثة هامدة بعد سطوع الأنوار، كما حدث فى العام الماضى.. وخيل الى الجميع أن شبح الماضى قد انقشع الى غير رجعة.

والتفتت ساندرا باسمة الى آنتونى براون، وتحدث ستيفن الى ايريس، ومالت روث نحوهما لتشترك فى الحديث معهما.. ولم يبق غير جورج.. فقد ظل جالساً يحدق النظر الى المقعد الخالى.. وكأس الشمبانيا المترع الموضوع أمامه - أمام المقعد الخالى - على المائدة وكأنما ينتظر وصول شخص معين.

ولمسته ايريس بيدها قائلة:

- استيقظ يا جورج.. تعال لنرقص.. إنك لم تراقصنى الليلة بعد ونهض فى تثاقل وهو يبتسم، ثم رفع كأسه الممتلئة بالشمبانيا وقال:

- لنشرب هذا النخب أولا.. لنشرب نخب ايريس مارل بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة، وعسى أن يمتد بها العمر مائة عام.

وشرب الجميع جرعات من كؤوسهم ضاحكين، ثم نهضوا جميعاً للرقص.. جورج مع ايريس.. وستيفن مع روث، وساندرا مع آنتونى براون.

وكانت رقصة مرحة على نغمات الجاس. وعادوا جميعاً، فى وقت واحد، الى المائدة، ضاحكين، وجلسوا يتبادلون الحديث.

ـ لدى ما أريد أن أقوله لكم.. فمنذ عام تقريباً.. كنا هنا جميعاً فى حفلة انتهت بمأساة، وأنا لا أريد أن أنبش الماضى بآلامه، ولكنى أحب فقط ألا ننسى روزمارى تماماً.. ولهذا أرجو أن نشرب نخب ذكراها.

ورفع كاسه.. ورفع الجميع كؤوسهم طائعين.. وعاد جورج يقول:

ـ لنشرب نخب ذكراها.. ذكرى روزمارى.

وارتفعت الكؤوس الى الشفاه. وشرب الجميع.

وفجأة ترنح جورج بارتون فى مقعده، وتهالك على المائدة وهو يرفع يديه الى عنقه كأنما يعانى من اختناق شديد.. وكان وجهه مريداً.. رهيباً.. مسموماً.

وما لبث أن مات بعد دقيقة ونصف دقيقة على وجه التحديد.



الرجل الغامض

دخل الكلونيل ريس الى مكتب صديقه المفتش كمب بادارة اسكوتلانديارد، فحياه المفتش قائلا:

- جميل منك أن تتصل تلفونياً بنا يا كلونيل.. فالواقع أننا أحوج ما نكون الى كل مساعدة لكشف غوامض هذه الجريمة.

- وجميل من إدارة اسكتلانديارد أن تعهد الى المفتش لبق مثلك لكشف غوامض هذه الجريمة التى يحتاج التحقيق فيها الى سؤال بعض أفراد من أسرة كيدرمنستر.

وبعد أن تبادلا الحديث برهة فى موضوع جريمة مقتل جورج بارتون، قال الكلونيل ريس فجأة:

- لنفرض أنها هى التى ارتكبت هذه الجريمة.. أعنى الأولى.. ثم الثانية..

- ليدى الكسندرا؟! لماذا تشك فى أمرها؟!

- إننى لا أشك فى أحد معين الآن.. ولكننى أفترض فقط.. إذا ثبت أنها هى القاتلة أو زوجها ستيفن المتمتع بنفوذ أسرة كيدرمنستر، فماذا يمكنك أن تفعل؟

فقال كمب فى هدوء تام:

ـ إذا كان أحدهما، أو كلاهما، قد ارتكب هذه الجريمة، فسوف نعلقه أو نعلقها فى حبل المشنقة، فأنت تعرف هذا.. تعرف أننا لا نخاف أو نحابى أحداً فى هذه البلاد.. ولكن المهم هو أن نتأكد أولا من توافر الأدلة والقرائن فى أيدينا قبل أن نوجه الاتهام الى أحد.

فأومأ الكلونيل ريس برأسه وقال: حسناً.. ما هى التفاصيل؟

ـ لقد مات جورج بارتون بسم السيانيد.. تماما كما ماتت زوجته فى العام الماضى، وقد قلت لنا فى التليفون إنك كنت موجوداً فى المطعم ورأيته وهو يموت.

ـ نعم.. لقد دعانى بارتون لحضور الحفلة.. ولكننى اعتذرت لأنى لم أكن موافقاً على الخطة السرية التى وضعها للايقاع بالقاتل كما زعم لى.. وقد نصحت له بالالتجاء الى رجال البوليس إذا كان يشك فى وفاة زوجته.

ـ نعم.. هذا ما كان ينبغى أن يفعل.

ـ ولكنه أصر على تنفيذ خطته دون أن يذكر لى تفاصيلها. وكنت أشعر بالقلق للأمر كله، ولهذا ذهبت الى اللوكسمبرج فى الليلة الماضية لأرقب مدعويه. ولهذا السبب كنت بعيداً عنهم فلم أر ـ للأسف الشديد ـ شيئاً أثار شكوكى. فقد كان الجرسون والمدعوون فقط هم الذين اقتربوا من مائدته المستديرة. لم يقترب منها شخص غريب.

فقال كمب: هذا بضيق نطاق البحث.. أليس كذلك.. لابد أن يكون القاتل أحدهم أو الجرسون جوزيب بلسانو.. وقد استدعيته للاستجواب هذا الصباح، ولعلك تريد أن تراه.. ولكنى لا أعتقد أن له

يدأ فى هذا الحادث.. فهو يشتغل فى اللوكسمبرج منذ اثنتى عشرة سنة، وسيرته حسنة، متزوج من سيدة انجليزية، وله ثلاثة أبناء.. وعلاقته بجميع رواد اللوكسمبرج طيبة.

ـ معنى هذا انه ليس أمامنا الآن إلا المدعوون.

ـ نعم.. وهم المدعوون أنفسهم الذين حضروا حفلة العام الماضى التى انتهت بموت مسز بارتون.

ـ وما رأيك فى مأساة مسز بارتون يا كمب؟؟

ـ أعتقد أن هناك علاقة أكيدة بين الحادثين.. وقد كان المفتش آدمز يتولى التحريات عن مقتل روزمارى.. وقد قررنا جميعا أنها ماتت منتحرة لأن هذا هو التعليل الوحيد الذى لم يكن أمامنا تعليل غيره يومذاك. وهكذا حفظنا أوراق التحقيق على أنه حادث انتحار مع علامة استفهام.. إن الرأى العام لا يعرف شيئاً عن علامات الاستفهام هذه، ولكننا نضعها أمام القضايا التى لا نطمئن الى نتائجها حتى تبقى فى أذهاننا دائماً.. وذلك لكى نوالى التحريات عنها فى هدوء.. وفى بعض الأحيان تثمر تحرياتنا.. وفى أحيان أخرى تظل القضية على غموضها.. وقد ظلت قضية مقتل روزمارى على غموضها بالنسبة الينا.

ـ حتى الآن؟!

ـ نعم.. حتى الآن.. لقد أرسل شخص مجهول رسالتين الى جورج بارتون يقول له فيهما إن زوجته ماتت مقتولة.. وبدأ هو يعمل للايقاع بالقاتل.. ولا شك أن القاتل قد عرف بطريقة ما أن جورج يسعى للايقاع وانه بدأ يشك فيه امره ولهذا لم يتردد فى القضاء عليه..

هذا ما أراه حتى الآن تفسيراً لمقتل بارتون.

ـ نعم.. وهو تفسير معقول الى حد ما.. ولكننا لا ندرى شيئاً عن المفاجأة التى كان يعدها جورج للايقاع بالقاتل.. لاحظت فقط وجود مقعد خال بين مقاعدهم، ولعله كان ينتظر حضور شخص معين.. وأيا كان الأمر، فقد أثمر الفخ أكثر مما كان منتظراً.. أفزع القاتل وجعله يقضى على جورج قبل أن تحدث المفاجأة التى تكشف أمره.

ـ حسناً.. اننا نشتبه الآن فى خمسة أشخاص.. وهناك أيضاً القضية الأولى.. قضية مصرع روزمارى.

ـ هل تأكدت الآن بأن ذلك الحادث لم يكن انتحاراً؟!

ـ إن الجريمة الثانية تثبت أن الأولى لم تكن انتحاراً رغم جميع القرائن التى جعلتنا نعتقد أن روزمارى انتحرت.

ثم صمت برهة وقال: ـ ومن بين هذه القرائن التى خدعتنا، حالة الانقباض النفسى التى أعقبت اصابتها بالأنفلونزا.. والخطاب لأختها الذى لم تتمه والذى أوضحت فيه آن ثروتها ستنتقل اليها، و.. فشلها فى الحب.. وهذا السبب لم نخبر به أحداً فى جلسة التحقيق.

ـ كأنكم تعرفون أنه كان لها مغامرة حب؟!

ـ نعم.. حب عنيف.. وقد عرفنا أنها كانت تلتقى بعشيقها فى مسكن خاص.. سراً.

ـ ستيفن فاراداى؟!

ـ نعم.. ومن المرجح أنهما اختلفا أو تخاصما أو ضاق فرادای بهذه العلاقة.. إنها على كل حال ليست أول امرأة تنتحر بسبب فشلها فى الحب.

- تنتحر بسيانيد البوتاسيوم فى محل عام؟!

- لماذا لا؟ لعلها أرادت أن تقتل نفسها بطريقة مسرحية أمام عينى حبيبها الهاجر.. والمهم فى موضوع هذا الحب أنها لم تكن تهتم بكتمانه.. وإنما كان هو الذى يحرص على بقائة سراً بينهما.

- هل لديكم ما يثبت أن زوجته تعرف شيئاً عن هذا الحب؟

- لا.. لا..

- ولكن من المحتمل أنها تعرف دون أن يدرى أحد.. فهى سيدة كتوم لا تنم ملامحها عن حقيقة مشاعرها.

- ربما.. وهذا يعنى أن الدافع لها على ارتكاب جريمة القتل هى الغيرة.. والدافع لستيفن هو الحرص على مستقبله.. إن فضيحة كهذه لا شك تحطم مستقبله وتجلب عليه عداوة أسرة كيدرمنستر ذات النفوذ الواسع.

- وماذا عن السكرتيرة.. روث ليسنج؟

- من المحتمل جداً أنها كانت تحب جورج وتأمل فى الزواج منه.. وقد علمنا أنها فصلت أمس فتاة موظفة فى مكتب أعمال جورج لأنها ضبطتها تسترق السمع عليهما عندما كان جورج يقول لروث إنه لا يدرى ماذا كان يفعل بدونها وبدون وفائها وبراعتها..

وصمت كمب برهة قبل أن يستطرد قائلا:

- وعندنا أيضا إيريس.. إنها ترث عن أختها ثروة طائلة.. وهى تبدو كتلميذة بريئة.. ولكن من يدرى ماذا يدور تحت براءتها الظاهرية؟! ثم هناك آنتونى براون.. هذا الصديق الغامض لروزمارى.

ـ إننى مشوق لأعرف معلوماتك عنه.

ـ أعرف عنه القليل.. إن أوراقه الشخصية سليمة.. وهو رعية أمريكية.. ويقيم فى فندق كلاريدج، واستطاع أن يوطد علاقته باللورد ديوزبرى.. ويبدو أن اللورد أحبه ودعاه للاقامة بضعة أيام فى قصره أثناء فترة حرجة. فقال الكلونيل ريس ببطء:

ـ تعنى أثناء الحوادث الغامضة التى وقعت خلال تجربة الدبابات الجديدة فى مصانع اللورد ديوزبرى؟!

ـ نعم.. لقد شاهد آنتونى براون هذه التجارب زاعماً أنه خبير فى صناعة الأسلحة والمعدات الحربية.. وقد اكتشف المسئولون بعد ذلك بقليل مؤامرة للتخريب.. وعرف أن آنتونى هذا وطد علاقته بكثير من مهندسى مصانع اللورد ديوزبرى الذين أطلعوه على بعض أسرار الأسلحة الجديدة.. وكانت النتيجة أنه وقعت بعض الاضطرابات فى سير العمل بالمصانع أثناء وجود آنتونى فى تلك المنطقة.

ـ إنه شخصية غامضة.. عجيبة.. آنتونى براون هذا.

ـ نعم.. وهو متحدث بارع، وجذاب.

ـ ولكن علاقته وطيدة بروزمارى.. ومن المحتمل أنها عرفت بعض أسراره. فليس أقدر من المرأة الجميلة على استدراج أى رجل للحديث عن نفسه.. وأنت يا كلونيل ريس تعرف هذا.

وأومأ الكلونيل ريس برأسه ثم قال بعد فترة صمت:

ـ وماذا عن الرسالتين المجهولتين يا كمب؟!

ـ لم نجد عليهما غير بصمات أصابع جورج بارتون وإيريس.. ولم

نجد على المظروف غير ألوان من الأختام البريدية.. ولا شىء غير هذا.

- هل عثرتم على بقايا مسحوق السيانيد عقب مصرع جورج؟!

- عثرنا على كيس ورقى صغير أبيض اللون يحتوى على آثار أملاح السيانيد تحت المائدة المستديرة التى كان يجلس اليها جورج ومدعووه.. ولم نجد عليه أية آثار لبصمات أصابع.

- ألم يلاحظ أحد من الموجودين فى المطعم ليلة أمس شيئاً يثير الاشتباه.

- هذا تقريباً ما بدأت به عملى اليوم فى هذه القضية.. لقد سجلت فى اختصار أقوال كل شخص له علاقة بالجريمة ليلة أمس.. وذهبت الى منزل إلفاستون سكوير وفتشت فى أوراق جورج بارتون. وسوف أسجل اليوم أقوال الجميع كاملة.. وكذلك أقوال الأشخاص الأربعة الذين كانوا يجلسون على مائدتين صغيرتين بالقرب من جورج ومدعويه.

وبعد أن قلب صفحات أوراق أمامه، استطرد المفتش كمب قائلا:

- كان يجلس على المائدة الأولى الشاب جيرالد تولنجتون الضابط بالحرس الملكى، وخطيبته الليدى باتريشيا برايس وودورث.. وأراهن أنهما كانا مشغولين بنفسهما عن أى شىء آخر يجرى قريباً منهما.. وعلى المائدة الثانية المستر بدرو مويلز.. رجل جاء من المكسيك ليسيح فى لندن فترة من الزمن.. وكانت معه غانية شقراء من صائدات المال تدعى كريستين شانون.. وأراهن أنها لم تكن تهتم بالنظر الى شىء غير نقود صاحبها المكسيكى.. ولكننى كتبت أسماءهم وعناوينهم.. فمن يدرى.. فلعل أحدهم رأى شيئاً.. مصادفة.. والآن.. سنبدأ باستجواب الجرسون جوزيب.. إنه موجود هنا.

كريستين شانون

كان الجرسون جوزيب بلسانو رجلا في منتصف العمر، له وجه نسناسي طيب السمات.

ولكنه كان متوتر الأعصاب وهو يجلس أمام المفتش كمب للاجابة على أسئلته.

وقال له المفتش كمب فى رفق:

ـ حسنا يا جوزيب.. دعنا نسمع أقوالك بالتفصيل.

ـ إننى لا أدرى ماذا أقول يا سيدى.. لقد كنت أنا القائم على خدمتهم فى حفلة العام الماضى، وفى حفلة هذا العام.. ماذا يقول الناس عنى الآن!! إن مدير المحل المستر جولدتساين ـ وهو رجل طيب كريم الأخلاق ـ يدرك شعور الناس الآن نحوى، فاقترح على أن أتغيب بضعة أيام حتى يخفت ضجيج الحادث.. لقد بدأ رواد المحل يخافون منى ويعتقدون أننى أحمل فى جيوبى سيانيد البوتاسيوم.. ولكن الله يعلم أننى برىء.. لماذا أسعى الى قتل أى إنسان!! إننى صديق للجميع، وليس لى عدو واحد فى هذه الدنيا.

ـ حسناً.. حسناً.. حدثنا عما حدث فى الليلة الماضية بالنسبة

لك.. هل كنت تقدم الشمبانيا.

- نعم.. كان المستر جورج قد اتفق مع المتردوتيل على تقديم شمبانيا من نوع الكليكية تخزين عام ١٩٢٨م.

- وماذا عن المقعد الخالى.

- قال لى المتردوتيل تشارلس أن المستر جورج أخبره بأن سيدة شابة سوف تحضر فى ساعة متأخرة لتجلس على هذا المقعد.

وتبادل الكلونيل ريس والمفتش كمب النظرات، ثم قال المفتش:

- سيدة شابة؟! أتعرف من هى!!

- لا. سمعت فقط أنها ستحضر الحفلة فيما بعد.

- حسناً.. أكمل حديثك عن الشمبانيا.. كم زجاجة قدمت؟!

- اثنتان.. والثالثة كانت معدة تحت الطلب.. وفرغت الزجاجة الأولى بسرعة، وفتحت لهم الثانية قبل فاصل الكباريه بوقت قصير.. وملأت لهم الكؤوس الكبيرة ووضعت الزجاجة فى جردلها.

- متى لاحظت المستر جورج بارتون وهو يشرب من كأسه فى المرة قبل الأخيرة؟!

- آه.. دعنى أتذكر.. عندما انتهى فاصل الكباريه.. شرب الجميع نخب الآنسة الصغيرة إيريس.. فقد كانت الحفلة كما علمت بمناسبة عيد ميلادها.. ثم نهضوا للرقص، وبعد ذلك عادوا وشربوا من كؤوسهم.. وفى لحظة واحدة مات المستر جورج بارتون.

- هل ملأت لهم الكؤوس أثناء انشغالهم بالرقص بعد فاصل الكباريه!

- لا.. كانت المكؤوس ممتلئة تماماً عندما شربوا نخب الآنسة

إيريس.. ولم يشربوا فى هذا النخب كثيراً.. وهكذا بقيت فى الكؤوس كميات كبيرة من الشمبانيا.

- ألم يقترب أحد.. أى أحد.. من مائدتهم أثناء انشغالهم بالرقص؟!

- لا.. مطلقاً.. إنى واثق من هذا يا سيدى.

- هل كانوا يرقصون جميعاً فى وقت واحد؟!

- نعم..

- وعادوا إلى المائدة فى وقت واحد؟!

ومال جوزيب برأسه وهو يحاول أن يتذكر، ثم قال:

- عاد المستر بارتون والآنسة إيريس أولا.. ثم تبعهما المستر فاراداى والآنسة الأخرى ذات الثوب الأسود الأنيق التى قيل لى أنها السكرتيرة روث ليسنج.. ثم الليدى فاراداى وذلك الشاب الخمرى الجذاب.

- هل تعرف المستر فاراداى، وزوجته الليدى الكسندرا..؟؟

- نعم.. رأيتهما يترددان كثيراً على اللوكسمبرج.. وهما شخصيتان معروفتان فى المجتمع الراقى.

- والآن يا جوزيب.. هل كان فى مقدورك أن ترى أحدهم وهو يضع السم فى كأس المستر بارتون..؟!

- لا أظن يا سيدى.. فقد كنت مشغولا بالخدمة على المائدتين الأخريين، عدا ثلاث موائد أخرى فى قاعة المطعم.. ولم يكن ثمة ما يدعونى لمراقبة ما يجرى على مائدة المستر بارتون.. وكان جميع من فى المطعم قد نهضوا يرقصون بعد فاصل الكباريه.. وعندئذ فقط أتيح لى أن أقف وأرقب ما يجرى.. ولم أر أحداً يقترب من مائدة

المستر بارتون.. وبمجرد أن انتهى الرقص، عدت للعمل.

وأومأ كمب برأسه قائلاً: ـ حسناً يا جوزيب. يمكنك أن تتصرف الآن.

وبعد أن أغلق الباب، قال كمب وهو ينظر فى ساعة يده:

ـ إننى على موعد لمقابلة اللورد كيدرمنستر فى قصره فى تمام الساعة الثانية عشرة والنصف.. ولكن لدينا فسحة من الوقت نستطيع خلالها أن نزور أولئك الذين كانوا جالسين على المائدتين القريبتين من مائدة جورج بارتون.. هلم معى.

كان المستر موريلز، الوافد من المكسيك، مقيما بفندق الريتز.. ولم يكن منظره يسر أحداً فى تلك الساعة من الصباح وهو بوجهه غير الحليق، وشعره المشعث، وعينيه الدمويتين، ومظاهر الصداع الواضحة عليه بسبب إسرافه فى الشرب فى الليلة السابقة.

وحاول هذا المستر موريلز أن يركز تفكيره فى الأحداث التى جرت بالمطعم فى الليلة السابقة ليجيب على أسئلة المفتش كمب والكلونيل ريس:

ـ لقد ذهبت مع هذه الفتاة اللعوب كريستين الى اللوكسمبرج بعد أن أكدت لى أنه مطعم فاخر.. آه.. نعم.. كانت هناك بالقرب منا مائدة كبيرة يجلس إليها جماعة من الناس.. ولكنى لا أتذكر وجوههم.. لم أهتم بأمرهم إلا حين سقط أحدهم ميتاً.. وقد لفتت نظرى فتاة جميلة بينهم كان الحزن الشديد يبدو عليها بوضوح.

ـ أتقصد الفتاة التى كانت ترتدى ثوباً من المخمل الأخضر.

ـ نعم..

ـ إنها إيريس شقيقة زوجة جورن بارتون.. ألم تلاحظ شيئاً آخر يا مستر موريلز؟!

ـ لا.. ولماذا الاحظ غيرى من الناس؟!

ولم يستطع كمب أن يظفر منه بشىء آخر.. فشكره وانصرف بعد أن سمعه يقول:

ـ إننى مسافر إلى نيويورك غداً.. فهل تحب أن أبقى تحت أمركم بضعة أيام أخرى؟

فقال له كمب وهو يغادر غرفته: ـ لا شكراً.. يمكنك أن تسافر.

وقال المفتش للكولونيل ريس وهو يهبط معه فى المصعد:

ـ إن هذا المستر موريلز يريد أن يستغل هذا الحادث ليطيل مدة إقامته بضعة أيام.

ولم يستطع كمب أن يظفر بشىء من الشاب جيرالد تولنجتون أو خطيبته باتريشيا برايس.. فقد كانا ـ كما توقع ـ مشغولين بعواطفهما عن كل شىء.. فلما وقع الحادث أسرعا بمغادرة المطعم قبل أن تقع باتريشيا مغشياً عليها من فرط الفزع.

وقال المفتش للكولونيل فى الطريق: ـ لم يبق أمامنا من الشهود الخارجيين إلا الغانية الشقراء كريستين شانون.

واستقبلتهما كريستين فى مسكنها الأنيق الخاص، مرحبة، وقدمت إليهما الشراب والسجائر، وقالت فى صوت عذب:

ـ يسرنى أن أقدم إليكما أية مساعدة ممكنة.. هلم القيا على أسئلتكما. فقال المفتش كمب بعد أن ألقى عليها أسئلة عادية:

ـ هل لاحظت شيئا يا مس شانون عن الجالسين الى مائدة المستر بارتون؟

ـ نعم.. لاحظت الشىء الكثير.

- هل تذكرين متى شرب جورج بارتون من كأسه آخر مرة قبل هذا؟!

- نعم.. بعد فاصل الكباريه.. لقد سطعت الأنوار.. ورأيته يرفع كأسه وهو يتحدث ببضع كلمات لم أسمعها طبعاً.. ثم رفع الجميع كؤوسهم، وشربوا كما يشرب المدعوون نخب شخص معين.

- وبعد ذلك؟!

- وبعد ذلك عزفت الموسيقى نغمات راقصة، فنهض الجميع يرقصون وهم يضحكون بعد أن دفعوا مقاعدهم بعيداً عن المائدة.

- هل نهضوا جميعاً.. تاركين المائدتين خالية تماماً من أى شخص!!

- نعم.

- ولم يلمس أحد كأس المستر بارتون أثناء غيابهم عن المائدة؟!

- أبداً.. لم يلمسه أحد.. إنى واثقة من هذا.

- ولم يقترب أحد.. أى أحد.. من المائدة أثناء ابتعادهم عنها!

- لا.. لم يقترب أحد.. غير الجرسون طبعاً.

- الجرسون؟! أى جرسون؟!

- أحد الجرسونات الصغار الذين يضعون الفوط حول خصورهم.. إنه ليس الجرسون الذى كان يقوم على خدمتهم.. أعنى الجرسون ذا الوجه الطيب والملامح النسناسية الذى يبدو عليه أنه أجنبى.. ربما إيطالى.

فأدرك المفتش أنها تعنى بهذا الوصف الجرسون جوزيب بلسانو.. ثم قال: - وماذا فعل هذا الجرسون المساعد.. هل ملأ الكؤوس؟!

- لا.. إنه لم يلمس شيئاً على المائدة.. وإنما التقط من على

الأرض حقيبة يد إحدى السيدات كانت قد سقطت من فوق المائدة أثناء قيامهم للرقص.

ـ حقيبة أية سيدة منهن؟!.

ـ حقيبة الفتاة الصغرى ذات الثوب الأخضر.. لأن لون الحقيبة كان أخضر ذهبياً، أما الأخريان فكانت كل منهما تمسك بحقيبة يد سوداء.

ـ وماذا فعل الجرسون بالحقيبة؟!

ـ رفعها من فوق الأرض وأعادها الى المائدة.. ولا شيء غير هذا.

ـ هل أنت واثقة بأنه لم يلمس أى كأس من الكؤوس على المائدة.

ـ نعم.. جد واثقة.. إنه لم يلمس أى كأس.. وإنما وضع الحقيبة بسرعة على المائدة لأن واحداً من الجرسونات الكبار كان يستدعيه.

ـ وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى اقترب فيها أى شخص من المائدة!

ـ نعم.

ـ ولكن من المحتمل طبعاً أن يكون أحد قد اقترب منها دون أن تريه؟

فهزت كريستين رأسها بقوة وإصرار قائلة: ـ لا.. مطلقاً.. فقد كنت عندئذ جالسة وحدى لأن بدرو كان قد قام الى كشك التليفون ولم يكن قد عاد بعد. وهكذا لم يكن هناك ما يشغلنى. وكانت المائدة الخالية أمام عينى طول الوقت.

ـ ومن الذى أقبل عليها أولا بعد الانتهاء من الرقص؟!

ـ الفتاة الصغيرة ذات الثوب الأخضر والمستر جورج.. وبعدهما أقبل ذلك الشاب المتعجرف والفتاة النحيلة ذات الثوب الأسود.. ثم تبعهما ذلك الشاب الخمرى الجذاب والسيدة الطويلة التى يبدو عليها

عـراقـة الأصل.. وانحنى المسـتـر بارتون على المائدة ثم رفع كـأسـه وتحدث ببضع كلمات كما فعل قبل الرقص، ثم رفع الكأس الى شفتيه والجميع يشربون فجأة.. وكان بدرو قد حضر فى تلك اللحظة، فقلت له: «أنظر يا بدرو.. يبدو أن هذا الرجل قد فقد وعيه من فرط السكر» ولم أكن أعرف تلك اللحظة أنه فارق الحياة.

وبعد أن أعاد كمب سؤال الغانية دون أن يظفر منها بمزيد من المعلومات، غادر مسكنها مع الكولونيل ريس وهو يقول له:

ـ هذا كل ما استطعنا أن نظفر به من الشهود الخارجيين.. لقد شرب جورج بارتون جرعة من كأسه نخب إيريس ثم نهض للرقص هو والجميع.. وفى خلال الرقصة لم يلمس أحد أى كأس على المائدة بشهادة الجميع.. ومع ذلك فقد مات الرجل مسموما عندما عاد الى مكانه بعد الفراغ من الرقص وشرب جرعة أخرى.. فما معنى هذا؟ إن هذا غير ممكن الحدوث لولا أنه حدث!

ثم توقف برهة وقال:

ـ ذلك الجرسون المساعد.. الجرسون الصغير.. إن جوزيب لم يذكره لنا وهو يدلى بأقواله.. يجب أن أتحقق من هذا الأمر.. ذلك أن هذا الجرسون المساعد هو الشخص الوحيد الذى اقترب من المائدة أثناء غيبتهم.

فهز الكلونيل ريس رأسه وقال: ـ لو أن هذا الجرسون المساعد وضع شيئاً فى كأس بارتون لرأته هذه الغانية كريستين.. وأنا واثق أن هذه الفتاة كانت تلاحظ كل شىء بطبيعتها.

ـ إذن فليس هناك غير تفسير واحد للموضوع.. وهو أن بارتون

هو الذى وضع السم بنفسه فى الكأس.

- هذا هو التفسير الوحيد.. فاذا كان قد فعل، فلا شك أنه لم يعرف أن هذا المسحوق الذى يضعه فى كأسه، سماً.

- أتعنى أن أحداً أعطاه المسحوق على أنه دواء للصداع أو عسر الهضم.

- نعم.. هذا محتمل.

- إذن من يكون هذا الشخص؟! ليس من المعقول أن يكون ستيفن أو زوجته.

- نعم.. هذا غير معقول.

- وكذلك لا يعقل أن يقبل جورج دواء لا يعرف عنه شيئاً من آنتونى براون، أى لم يبق أمامنا غير ايريس.. و.. السكرتيرة المخلصة.

فأومأ كمب برأسه وقال: - إنها الشخصية الوحيدة التى يمكن أن يتناول منها أى شىء وهو مطمئن.. والآن.. لقد حان موعدى لمقابلة اللورد كيدرمنستر وابنته الكسندرا وزوجها ستيفن.. فماذا تنوى أن تفعل الأخرى.. روث ليسنج.. وربما دعوتها لطعام الغداء معى.

- يحسن على كل حال أن نقابل إيريس مارل أيضا.

- سوف أقابلها.. وسأقابل أيضا هذه السيدة الثرثارة لوسيلا دريك.. فربما استطعت أن أظفر من ثرثرتها بشىء ذى بال.



فى قصر كيدر منستر

وافترق الرجلان. فاستقل الكلونيل ريس سـيـارة مـأجـورة إلى مكتب جورج بارتون بالمدينة.

ومضى المفتش كمب الى قصر كيدر منستر. وكان متجهم الوجه وهو يدرك حرج موقفه مع هؤلاء القوم ذوى النفوذ الواسع فى السياسة.. إنه يعرف حقاً أن الجميع أمام القانون سواء، وأن نفوذهم، أياً كان، لن يغنى عنهم شيئاً إذا ثبت، بالدليل الحاسم، أن ستيفن فاراداى، أو زوجته، هو القاتل، ولكن كيف يكون الحال إذا كانا بريئين، أو إذا كانت القرائن غير كافية لادانتهما؟! إنه على أية حال يجب أن يكون حريصا لبقاً فى معاملته لهم، حتى لا يثير غضبهم عليه، ويحرج مركزه مع رؤسائه.

ولكنه لم يلبث أن أحس بالراحة والرضى حين وجد اللورد كيدرمنستر يستقبله بنفسه فى لباقة وترحاب، وحين مضى به إلى قاعة المكتبة حيث كان فاراداى وزوجته الليدى الكسندرا جالسين، وحين قال له اللورد فى رقة:

- إننا نقدر شهامتك ومروءتك يا مستر كمب لتحملك مشقة الحضور إلينا بدلا من استدعائنا الى مكتبك وإثارة الأقاويل علينا..

وأعرب له كل من فاراداى والكسندرا عن مثل هذا التقدير، بينما

استطرد اللورد قائلا:

- إننا لا نخفى عنك يا مستر كمب شعورنا بالضيق والنفور من الموضوع كله، فهذه هى ثانى مرة تحضر فيها ابنتى وزوجها حفلة تنتهى بمأساة فى مكان عام. ولا شك أن مثل هذه الأحداث بما تثيره من ضجة فى الصحف تؤثر على مكانة زوج ابنتى أمام الرأى العام... ولهذا فاننا جد مشوقين الى تقديم كل مساعدة لك حتى تنجح فى كشف غوامض هذه الأحداث المريبة.

- شكراً يا لورد كيدرمنستر.. إننى أقدر موقفك الطيب من هذا الموضوع، ولا شك أنك بهذا الشعور تيسر مهمتى كل التيسير.

وقالت ساندرا فراداى:

- يمكنك يا مستر كمب أن توجه إلينا كل ما تريد من أسئلة.

- شكراً يا ليدى الكسندرا.

فقال اللورد بسرعة:

- لحظة واحدة يا مستر كمب، لقد بلغنى من صديقى مدير البوليس أن الاتجاه العام يميل الى اعتبار مقتل هذا الرجل جورج بارتون حادث انتحار.. ألم تقولى هذا يا عزيزتى ساندرا.. أليس هذا هو رأيك أيضا؟

- نعم... إننى أعتقد أن الرجل المسكين قرر أن ينتحر بنفس الطريقة التى انتحرت بها زوجته الحبيبة.. وقد لاحظت أثناء إقامته بجوارنا فى منزله لتيل برايور أنه كان غريب الأطوار، كثير الذهول، قليل الاختلاط بالناس، محزون الوجه دائماً. ولا شك أن وفاة زوجته المفاجئ قد هز أعصابه، فانتحر أخيراً.. وإلا.. فلماذا يريد أى انسان أن يقتله.. لماذا؟!

وأسرع فرادای يقول: - نعم هذا رأيي أيضاً.. فقد كان جورج بارتون رجلا صالحاً بشهادة الجميع.. لم يكن له أي أعداء على الاطلاق.

ونظر المفتش كمب الى الوجوه المتسائلة أمامه ثم قال لنفسه «يحسن أن أحمل عليهم الآن بأسئلتي» ثم قال بصوت هادئ واضح النبرات:

- إنني أتفق معكم في هذا الرأي.. ولكن هناك بعض الحقائق التي يحتمل أن تكون غائبة عنكم الآن.

فقال اللورد كيدرمنستر:

- نعم.. نعم.. ومن واجبك أن تكشف عن جميع الحقائق المحيطة بهذا الموضوع.

- شكرا يا سيدي اللورد.. إن من بين هذه الحقائق التي تعرفونها أن المستر بارتون، قبل وفاته، أعرب لشخصين عن اعتقاده بأن زوجته لم تنتحر - كما ظننا جميعا - وإنما قتلت بالسم على يد شخص مجهول، وكان يظن في الأسابيع الأخيرة أنه أمسك بطرف الخيط الذي سيرشده الى القاتل.. وكانت حفلة العشاء في الليلة الماضية التي زعم أنه أقامها تكريماً لإيريس شقيقة زوجته بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة، لم تكن في الواقع إلا فخاً نصبه آملا الإيقاع بقاتل زوجته.

وصمت كمب برهة وهو يشعر، مجرد شعور، بنوع من الاستياء الذي بدا في عيون الثلاثة الجالسين أمامه.. أما وجوههم، فقد ظلت جامدة لا تعبر عن شيء مما يدور بنفوسهم.

وكان اللورد كيدرمنستر أول من قطع حبل الصمت، فقال:

- ولكن اعتقادالمسكين بارتون بأن زوجته قتلت دليل أكيد على أنه لم يكن في حالة عقلية ونفسية طبيعية.. ولعل حزنه المستمر على زوجته قد أثر على قواه العقلية.

وقال ستيفن فراداى فى شىء من الحدة:

ـ كيف خطر ببال جورج بارتون أن زوجته ماتت مقتولة مع أنها ماتت منتحرة كما دلت جميع الشواهد.

ـ ربما.. ولكن.. هل تسمحون لى بتوجيه بعض الأسئلة إليكم الآن.. ولأبدأ بالليدى الكسندرا.

فقالت ساندرا بسرعة:

ـ بلا شك سل ما تشاء وإن كنت مصرة على اعتقادى بأن كلا من روزمارى وزوجها مات منتحراً.

ـ هل أرسل إليك شخص مجهول رسائل بلا توقيع فى خلال هذا العام يا ليدى الكسندرا؟

ـ رسائل بلا توقيع؟! لا.. مطلقاً.

ـ هل أنت واثقة؟! إن هذه الرسائل فعلا عمل سخيف، والناس المحترمون عادة يتجاهلونها ويلقون بها الى النار دون أن يفكروا لحظة فى محتوياتها. ولكن لهذه الرسائل المجهولة دور كبير فى قضيتنا. ولهذا تجديننى مهتما كل الاهتمام بمعرفة ما إذا كان أحد أرسل إليك بعض هذه الرسائل المجهولة!

ـ إننى أفهم ما تعنى، ولكنى أؤكد أننى لم أتلق رسائل بلا توقيع..

ـ حسنا جدا.. والآن.. لقد قلت إن المستر بارتون كان غريب الأطوار فى الأشهر الأخيرة!

ـ نعم.. كان هذا بادياً عليه بوضوح.. كان متوتر الأعصاب مكتئب الوجه، وكأنه مريض.

ـ وماذا كان شعوره نحوك ونحو زوجك المستر فراداى؟

ـ كان ودوداً جداً.. وليس أدل على ذلك من أنه اشترى بيته

الريفى فى مكان جد قريب من مزرعتنا فيرهافن.. وقد أعرب لنا كثيراً عن اعترافه بالجميل حين قمنا بتعريفه الى الجيران القريبين منه. وأعتقد أنه كان لطيفاً جداً.. لاسيما أخت زوجته، إيريس، فهى فتاة على جانب كبير من الرقة واتزان التفكير.

- هل كانت مسز بارتون، أى روزمارى صديقة حميمة لك يا ليدى الكسندرا؟

- الواقع أنها لم تكن صديقتى أنا.. وإنما كانت صديقة ستيفن فرادای على الأكثر، فقد اهتمت فجأة بالشؤون السياسية، وتولى ستيفن تعليمها فن السياسة، ولاشك أنها كانت مهمة ممتعة بالنسبة له، فان روزمارى كانت فاتنة.

وقال كمب لنفسه «وأنت ذكية بلا شك بارعة.. ومن المرجح أنك تعرفين شيئاً عن حقيقة علاقة زوجك بروزمارى».

وعاد يسأل بصوته الهادئ الواضح: - ألم يخبرك المستر بارتون أبدا عن رأيه بأن زوجته لم تمت منتحرة؟!

- لا.. أبداً.. وهذا فى الواقع ما أدهشنى الآن.

- ومس مارل.. أعنى إيريس.. ألم تتحدث إليك يوماً عن وفاة أختها؟!

- لا.. مطلقاً.

- هل تعلمين شيئاً عن السبب فى شراء جورج بارتون لبيته الريفى بالقرب من مزرعتك؟ هل اقترحت عليه، أنت أو زوجك، شراء هذا البيت؟!

- لا.. لقد كانت مفاجأة لنا.

- وهل كان دائماً على مودة معكم؟!

- جداً.

- وماذا تعرفين يا ليدى الكسندرا عن المستر آنتونى براون.

- إننى لا أعرف عنه شيئا.. كل ما فى الأمر أنى التقيت به فى بعض المناسبات.

- وماذا تعرف عنه يا مستر فراداى؟!

- أقل مما تعرفه زوجتى.. فهى، على الأقل، قد راقصته.. وظنى أنه شاب أمريكى مهذب.

- ألم تلاحظ أنه كان على علاقة خاصة بروزمارى قبل وفاتها؟!

- لا.. لم ألاحظ أى شىء من هذا القبيل يا مستر كمب.

- ألم يكونا صديقين!

- نعم.. ولكن الصداقة شىء، والعلاقة الخاصة التى تسأل عنها يا مستر كمب، شىء آخر.

- وأنت يا ليدى الكسندرا؟

- أعتقد أنهما كانا صديقين حميمين.. وأنت تفهم ما أعنى.. وقد عرفت هذه الحقيقة من الطريقة التى كانا يتبادلان بها النظر.. ولكن ليس لدى أى دليل حاسم.

فابتسم كمب وأومأ برأسه، ثم قال: - وماذا تعرفين عن روث ليسنج، سكرتيرة المستر بارتون؟

- إننى لا أكاد أعرف عنها شيئا يا مستر كمب.. لقد التقيت بها مرة أو مرتين قبل وفاة مستر بارتون.. كما رأيتها بضع مرات أثناء اقامة المستر بارتون فى منزله الريفى.

- هل يمكن أن أسألك عن رأيك فى مدى علاقة مس ليسنج بمخدومها المستر بارتون؟!

- إننى فى الواقع لا أدرى أكثر من أنها سكرتيرة ناجحة.

- حسناً.. لنتحدث الآن عما حدث فى الليلة الماضية.

وبعد بضعة أسئلة وجهها اليها وإلى زوجها ستيفن فراداى، لم يظفر منهما بشىء أكثر مما عرفه عن الحادث.. لقد أكدا له أن جورج بارتون طلب من الجميع أن يشربوا معه نخب إيريس مارل، ثم نهضوا تاركين الكؤوس ممتلئة إلا قليلا، وراحوا يرقصون جميعا، دون أن يتخلف أحد على المائدة، أو يقترب أحدهم منها، ثم عادوا، بعد انتهاء الرقصة، اليها.. جورج وإيريس أولا، ثم روث ليسنج وستيفن فراداى، ثم آنتونى براون وليدى الكسندرا. وبعد أن جلسوا جميعاً، طلب جورج بارتون منهم أن يشربوا معه نخب ذكرى روزمارى. وما أن شرب جرعة من كأسه، حق تهالك فى مقعده، ثم إذا هو يلفظ أنفاسه الأخيرة فى لحظات.

وأخيرا أغلق المفتش كمب مفكرته، ونهض قائلا وهو يستأذن فى الانصراف: - إننى أشكر لكم هذه الروح الطيبة فى معاونتكم لى.

وقال اللورد: - هل يتحتم على ابنتى أن تحضر جلسة التحقيق؟!

- إن جلسة التحقيق الأولى ستقتصر على الاجراءات العادية للتعرف على شخصية القتيل رسميا، والاطلاع على نتيجة تشريح الجثة.. ثم تؤجل الجلسة للأسبوع التالى.

وتوقف المفتش كمب برهة، قبل أن يردف قائلا بلهجة تأكيد:

- وفى خلال هذا الأسبوع ستتكشف لنا، حتما، بعض الحقائق الغامضة الآن.

ثم التفت الى ستيفن فراداى وقال:

- بهذه المناسبة أرجو، إذا لم يكن لديك مانع يا مستر فراداى، أن تشرفنى بالزيارة فى مكتبى باسكتلانديارد لأتحدث معك فى موضوع

بسيط.. ولا داعى لأن تتعب الليدى الكسندرا نفسها بالحضور معك. ويمكنك أن تحدد الوقت المناسب بالتليفون، فأنا أعرف انك رجل كثير المشاغل.

ورغم هدوء صوت كمب ورقته وهو يلقى بهذه العبارات، فان أحداً لم يخطىء فهم معناها الحقيقى.. فقد أدرك الجميع أن كمب يريد أن يتحدث الى ستيفن فى مسألة خاصة لا يجوز أن تنصت اليها زوجته. واستطاع ستيفن أن يقول فى هدوء مماثل:

- مؤكد يا مستر كمب.. والآن.. يجب أن أسرع بالذهاب الى مجلس العموم.

وبعد انصراف كل من ستيفن والمفتش، سأل اللورد كيدر منستر ابنته فى صراحة قائلا:

- هل كان لزوجك علاقة خاصة بتلك السيدة؟!

وترددت ساندرا برهة قبل أن تقول:

- طبعاً لا.. لو كان ثمة علاقة خاصة بينهما لعلمت بها.. وليس ستيفن من هذا النوع!

- إسمعى يا عزيزتى.. لا داعى لأن تكونى كالفرس الحرون العنيدة.. إن مثل هذه العلاقات لابد أن تعرف يوماً.. وأريد الآن أن أحدد موقفنا من الأمر كله.

- كانت روزمارى صديقة خاصة لذلك الشاب آنتونى براون.. كانا يشاهدان معاً فى أماكن كثيرة.

- حسناً.. أنت أدرى.

وكان يبدو على وجهه بوضوح، وهو ينصرف عن ابنته، أنه لا يصدقها. ومضى فى طريقه الى زوجته التى تحاشى حضورها أثناء وجود المفتش كمب حتى لا تعقد الأمور بكبريائها.

وقالت الليدى كيدرمنستر حين أقبل عليها زوجها:

- حسناً.. كيف الحال؟!

- الحال، فى ظاهرة، لا بأس به.. فقد كان المفتش كمب لبقاً رقيقاً يدرك حرج مركزه بالنسبة الينا. ولكنى لست راضياً عن إسرافه فى هذه المعاملة الرقيقة.. فإنها تخفى أمراً خطيراً.

- إذن فالأمر خطير!

- نعم.. جد خطير.. ما كان ينبغى أن تترك ساندرا تتزوج بهذا الشاب ستيفن.

- هكذا كان رأيى منذ اللحظة الأولى.

- حسناً.. إنها تزوجته وانتهى الأمر.. فما كان فى مقدورنا أن نثنى ساندرا عن هذا الزواج. كان لقاؤها بستيفن كارثة، فنحن لا نعرف عن أصله وفصله شيئاً، أى لا نعرف كيف يتصرف شخص كهذا فى أوقات المحن.

- هل تعنى أننا.. أننا زوجنا ابنتنا.. بقاتل؟!

- إننى لا أدرى، ولا أريد أن أظلمه بسوء الظن. ولكن هذا هو رأى البوليس فيه.. ورجال البوليس على مكر شديد.. ويبدو أنه كان على علاقة خاصة بتلك السيدة روزمارى، فهذا واضح جدا.. فإما أنها انتحرت بسببه، أو أنه.... حسناً.. أياً كان الأمر، فإن جورج بارتون عرف السر وقرر أن يثيرها فضيحة مدوية.. وأعتقد أن ستيفن لم يستطع مواجهة مثل هذه الفضيحة... فعمل على تلافيها.

- أى دس السم فى كأس بارتون؟!!

- نعم..

- إننى لا أتفق معك فى هذا الرأى.

- أرجو أن تكونى على صواب. ولكن شخصاً ما سمم جورج بارتون.

- إذا أردت أن تعرف رأيى، فإنى لا أعتقد أن لستيفن الجرأة على ارتكاب هذه الجريمة.

- إنه جد مهتم بمستقبله.. وإن له، كما تعلمين، مواهب عظيمة تتيح له النجاح فى عالم السياسة. وشخص كهذا قد يرتكب أية جريمة يضطر اليها حرصاً على مستقبله.

- لا، لا ... إن ارتكاب هذه الجريمة يحتاج الى أعصاب خاصة.. إلى ثبات ومقدرة عجيبة، إننى جد خائفة يا عزيزى.. جد خائفة.

فحدق النظر اليها وقال فى دهشة: - هل تعنين أن ساندرا هى.. هى؟!

- إننى لا أطيق مجرد التفكير فى هذا الاحتمال.. ولكن.. لا يجوز أن نجبن عن مواجهة كل الاحتمالات.. فليس لدينا أى شك فى أنها متيمة متفانية فى حب زوجها.. ولساندرا طباع غريبة لم أفهمها منذ طفولتها، ولكننى كنت أعرف أنها لا تتردد فى أن تعمل أى شىء.. أى شئ للدفاع عن رغباتها.. وهى أيضاً لن تتردد فى ارتكاب أى شىء من أجل ستيفن دون أن تبالى بالنتائج.. فإذا كان قد بلغ بها الشر هذا الحد، فان واجبنا أن نحميها بأى ثمن.

- نحميها؟! ماذا تعنين؟!

- تحميها أنت.. تحمى ابنتك.. ومن حسن الحظ أن فى مقدورك حمايتها بما لك من نفوذ.

فنظر اللورد كيدرمنستر الى زوجته فى دهشة وكأنما يراها لأول مرة، ثم قال: - إذا ثبت أن ابنتى قاتلة، فيجب أن تأخذ العدالة مجراها.. هذا ما يقتضيه الشرف.

- شرف؟! كلام فارغ!

فراح كل منهما يحدق النظر فى صاحبه برهة دون أن يدرك حقيقة مشاعره. وأخيراً قال اللورد: - كيف تريدين منى أن أخالف ضميرى ومبادئى وأحاول أن أخدع الرأى العام وأعبث بالعدالة؟

- إسمع.. إذا قبض على ساندرا وقدمت للمحاكمة، فهل ستردد فى توكيل أبرع المحامين للدفاع عنها وإثبات براءتها مهما توافرت الأدلة على إدانتها؟!

- هذه مسألة تختلف كل الاختلاف.. إن محاولة تبرئتها بالدفاع شىء، وحمايتها من يد العدالة بقوة النفوذ شىء آخر.

وصمتت الليدى كيدر منستر برهة.. حقاً لقد كانت ساندرا أقل بناتها قربا اليها ولكنها على كل حال ابنتها.. وإنها - كأم - لن تتردد فى الدافاع عنها وحمايتها إلى آخر لحظة من عمرها.. ستحميها بوسائل مشروعة أو غير مشروعة على السواء.

وأخيراً قال اللورد كيدرمنستر: - على كل حال لن يجرؤ على تقديم ساندرا للمحاكمة إلا إذا توافرت لديهم الأدلة الحاسمة القاطعة على إدانتها.. وأنا، كإنسان، أرفض الاعتقاد بأن تكون لى ابنة قاتلة.. اننى مدهوش كيف تخطر ببالك فكرة كهذه. ولم تقل الليدى شيئاً.

وهز اللورد رأسه فى دهشة.. فما كان ينتظر يوما أن يسمع مثل هذه الآراء الشاذة من زوجته.. زوجته التى عاش معها كل هذه السنوات دون أن يعرف حقيقة ما يدور فى أعماق نفسها.

ترى هل هو الزوج الوحيد، أم هكذا جميع الأزواج. ومرة أخرى هز اللورد رأسه فى دهشة.

روث تخفى شيئا

كانت روث ليسنج مشغولة بعدد كبير من الأوراق على مكتبها الكبير حين أقبل الكلونيل ريس اليها.

وبعد أن أوضح لها المهمة التى جاء من أجلها، قالت:

ـ يسرنى أنك حضرت يا كلونيل ريس.. وأنا أعرف من أنت.. فقد كان المستر بارتون يتوقع حضورك أمس.. فى الحفلة.. أليس كذلك؟

ـ هل قال هذا قبل ليلة أمس؟!

ـ لا.. قال إنه يتوقع حضورك ونحن نجلس الى المائدة بالترتيب.. آه.. لشد ما أشعر بالذهول بسبب كل ما حدث.

ـ ومع ذلك فقد جئت للعمل هذا الصباح!

ـ نعم.. هذا واجبى.. وهناك الكثير مما ينبغى أن نرتبه وننظمه.

ـ وكثيرا ما حدثنى جورج عن كفاءتك ومبلغ اعتماده عليك.

وأحنت روث رأسها، وبدا عليها كأنها توشك على البكاء. وأخيراً قالت: ـ لقد اشتغلت معه ثمانية أعوام.. وقد عرفت الشىء الكثير من عاداته وطباعه.. وأعتقد أنه كان شديد الثقة بى.

ـ أنا واثق من هذا.

ثم أردف قائلا: - لقد حان موعد تناول الغداء، فهل تقبلين دعوتى للطعام فى مكان هادئ.. فان لدى الكثير من الأسئلة التى أريد أن تفكرى بالإجابة عليها. فوافقت فى غير تردد، ومضيا الى مطعم صغير أنيق، وجلسا الى مائدة منعزلة عن بقية الرواد حتى لا يسمع أحاديثهما أحد. ثم أخذا يتبادلان الحديث العادى حتى أحضر الخادم ألوان الطعام المطلوبة. وأخيراً قالت: - لقد تحدثت أمس، بعد الحادث، مع المفتش كمب، وهو يبدو رجل مجرب ذكى.. ولكن هل تعتقد يا كلونيل ريس أن المستر بارتون.. مات.. مقتولاً؟!

- هل أخبرك كمب بهذا؟

- لا.. إنه لم يخبرنا بشىء، وإنما كانت أسئلته لنا تنم عن هذا الاعتقاد.

- فى مقدورك يا مس ليسنج أن تساعدينا كثيراً على معرفة الحقيقة.. فقد كنت وثيقة الاتصال بالمستر بارتون.. وكنت كذلك بين المدعوين الى حفلة أمس.. فما رأيك عنه؟ كيف كانت أحواله؟ هل كان فى حالة طبيعية أم كان مضطرباً.. مهتاجاً.. عصبياً؟!

- الواقع أنه كان مضطرباً.. وعصبياً.. ولكن هناك من الأسباب ما يبرر هذا. ثم ذكرت له شيئاً عن برقية الشاب الفاسد فكتور دريك، واضطراب جورج بارتون بشأنها خشية أن تكون سبباً فى تأجيل الحفلة، وكيف تصرفت هى بسرعة ووضعت الأمور فى نصابها. وعندئذ قال الكلونيل: - هه.. الابن الفاسد فى الأسرة.. الشاه السوداء فى القطيع الأبيض!

- نعم.. ولكنى لا أعتقد أن مسألة دريك هى السبب الرئيسى لاضطراب جورج، فم كانت تلك أول مرة يطلب فيها دريك نقوداً.. فقد حدث فى العام الماضى أن كلن دريك هنا، وكان فى مأزق شديد، فلم يسعنا إلا أن نرحله بالبحر الى أمريكا الجنوبية ومن هذا تعلم

أننى أعرف الكثير عن متاعب المستر بارتون وموقفه منها.. وأعتقد أن استياءه هذه المرة نشأ من وصول برقية دريك فى نفس يوم الحفلة.. وكان هو مشغولا بالاستعداد لها.. ويبدو أنه كان مهتما بها أشد الاهتمام، فساءه أن ينشغل عنها بشىء آخر.

ـ ألم تشعرى بأن وراء هذه الحفلة هدفا غامضاً يا مس ليسنج!

ـ نعم شعرت أن لهذه الحفلة معنى خاصاً.. فقد كان منفعلا بسببها كالطفل المشرف على الامتحان.

ـ ألم يخطر ببالك نوع هذا الهدف الذى كان يسعى اليه من إقامة هذه الحفلة؟

ـ هل تعنى أنها كانت صورة كاملة لحفلة العام الماضى التى انتهت بموت مسز بارتون؟... نعم.

ـ لقد فكرت فى هذا.. فعلا.

ـ ألم يخبرك جورج بالسبب الحقيقى لإقامة هذه الحفلة؟!

ـ لا، مطلقاً.. قال فقط إنها تكريم لإيريس بمناسبة بلوغها الثامنة عشرة.

ـ إسمعى يا مس ليسنج. ألم يخامرك الشك أبداً فى أن روزمارى لم تمت منتحرة. أوه.. لا.. لا.

ـ ألم يذكر لك جورج أنه كان يعتقد أن زوجته ماتت مقتولة؟

ـ أكان جورج يعتقد هذا؟!

ـ أرى بوضوح إن هذه أخباراً جديدة عليك! حسناً.. تلقى جورج رسالتين بلا توقيع تخبرانه أن زوجته لم تنتحر.. وإنما ماتت مسممة.

ـ إذن فهذا هو سبب اضطرابه وشذوذ تصرفاته طوال موسم الصيف.. إننى لم أكن أعرف السبب.

- ألم يخبرك بشيء عن هاتين الرسالتين؟!

- لا.. أبداً.

وبعد أن أطلعها الكلونيل ريس على الرسالتين، قال: - والآن.. ما رأيك يا مس ليسنج؟ هل هناك أى احتمال فى أن جورج قتل نفسه؟!

- لا.. لا.. هذا غير معقول الآن.

- ولكنك قلت إنه كان مضطرباً.

- نعم.. كان مضطرباً منذ بضعة أشهر. وقد أدركت الآن سر اضطرابه. وأدركت أيضا سر انفعاله بسبب حفلة الأمس. لاشك أنه كان يتوقع أن يهتدى عن طريقها الى شىء.. الى بعض المعلومات التى تكشف له عن سر مقتل زوجته.. ولكن المسكين كان الضحية.

- وما رأيك يا مس ليسنج عن مقتل روزمارى.. ألا زلت تعتقدين أنها ماتت منتحرة؟

- لم يخطر ببالى أبداً شىء غير هذا.. فهذا هو الوضع الطبيعى!

- حالة انقباض نفسى بعد الأنفلونزا؟!

- لا شك أن هناك سبباً أقوى من هذا.. فقد كانت روزمارى شقية بائسة فى أواخر أيامها.

- هل استنتجت هذا السبب؟!

- حسناً. نعم. إن مثيلات روزمارى شفافات النفوس دائماً. لا يعرفن كيف يخفين مشاعرهن الحقيقية. ولكن المستر جورج بارتون، لحسن الحظ، لم يلاحظ شيئاً، نعم. كانت بائسة جداً فى تلك الأيام. وكانت تشعر بصداع قبيل الحفلة، فضلا عن سوء صحتها بعد الأنفلونزا.

- كيف عرفت أنها كانت تشعر بصداع!

ـ لقد سمعتها تقول لليدى الكسندرا فى غرفة الزينة بالمطعم أنها تتمنى لو كان معها برشامة مسكنة.. ومن حسن الحظ كان مع ليدى الكسندرا برشامة، فأعطتها لها.

فنظر الكلونيل ريس الى روث فى دهشة وقال:

ـ وهل أخذتها روزمارى.. فعلا؟!... نعم.

وصمت الكلونيل برهة وهو يفكر فى هذا الأمر الخطير.. ولم يكن يبدو على روث أنها تدرك دلالة أقوالها.. ولكن هذه الأقوال، بالنسبة للكلونيل، كانت تدل على شىء خطير، فقد كان موضع الليدى الكسندرا من المائدة أبعد ما يكون عن روزمارى.. أى أنها كانت آخر من يستطيع أن يدس السم فى كأسها دون أن يراها أحد.. أما الآن.. فقد وضح الأمر بعض الوضوح.. فمن المحتمل جداً أن يكون غلاف البرشامة من مادة نشوية أو جلاتينية خاصة تذوب فى الشمبانيا دون أن تترك أثراً.. أو لعل روزمارى ابتعلتها أثناء انخفاض الأنوار فى فاصل الكباريه وشربت وراءها بعض الشمبانيا.

وقال فجأة: ـ هل رأيتها بنفسك وهى تأخذها؟!

ـ الواقع. اننى. لم أرها تماماً. وإنما سمعتها وهى تشكر الليدى الكسندرا. ثم أردفت تسأل فى دهشة وقد تألقت عيناها بالحذر: ولكن.. لماذا توجه هذا السؤال إلى؟!

ويبدو أنها أدركت أخيراً ما كان يدور بذهن الكلونيل، فقالت:

ـ أوه.. لقد فهمت الآن.. فهمت لماذا اشترى ذلك البيت الريفى بالقرب من مزرعة فراداى وزوجته.. فهمت لماذا لم يخبرنى بأمر الرسالتين المجهولتين، لقد كان جورج يعتقد أن واحداً منا، نحن الخمسة، هو قاتل زوجته.. ولعله كان يشك فى أمرى أيضاً.. فمن يدرى!

فقال ريس فى صوت رقيق جداً: هل هناك أى سبب يدفعك الى قتل روزمارى؟!

وخيل اليه أنها لم تسمع السؤال فى أول الأمر.. فقد أطرقت برأسها برهة، ثم تنهدت، ورفعت وجهها وقالت بهدوء: - إنه موضوع لا يحب الانسان عادة أن يخوض فيه.. ولكن أعتقد أنه ينبغى أن تعرف الحقيقة.. نعم.. كنت أحب جورج بارتون حتى قبل أن يلتقى بروزمارى.. ولا أعتقد أنه كان يعرف شيئاً عن شعورى نحوه.. والواقع أنه لم يكن يهتم بأمرى من هذه الناحية، حقاً كان يميل إلى، ويعزنى، ولا يطيق الاستغناء عنى، ولكن على أساس اننى سكرتيرة بارعة أو صديقة مخلصة.. ولا شىء غير هذا. وكنت أفكر دائماً فى أنى أصلح ما أكون زوجة له.. كنت أعتقد أنى أقدر على إسعاده من غيرى.. ولكنه أحب روزمارى ولم يسعد.

- وكنت بطبيعة الحال تكرهين روزمارى؟

- نعم.. كنت أكرهها. كانت جميلة جداً، جذابة جداً، فى مقدورها أن تكون لطيفة جداً أيضاً.. ولكنها لم تكن هكذا معى.. كانت تعاملنى على أنى قطعة من أثاث مكتب جورج.. نعم كنت أكرهها بقوة.. وقد صدمت بوفاتها.. بطريقة موتها.. ولكننى لم أحزن.. بل لعلى فرحت.

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة:

- هل يمكن أن نتحدث فى موضوع آخر؟!

فقال الكلونيل بسرعة: أحب فقط أن تذكرى لى بالتفاصيل، وفى دقة بالغة، كل ما تتذكرينه عن يوم أمس منذ الصباح.. لاسيما ما فعله وقاله جورج.

فأجابت روث بسرعة، وتحدثت عن استياء جورج من برقية دريك، وعن اتصالها التليفونى بأمريكا الجنوبية، وترتيباتها التى سرت جورج

فى النهاية، ثم وصولها الى اللوكسمبرج، وانفعالات جورج وهو يقوم بدور المضيف فى الحفلة، وظلت فى حديثها حتى وصلت الى آخر لحظة من المأساة. وكانت أقوالها لا تختلف فى شىء عما عرفه الكلونيل ريس والمفتش كمب عن الحادث.

وانتهت بقولها فى حيرة وارتباك: إن الحادث ليس انتحاراً.. وهو أيضاً لا يمكن أن يكون جريمة قتل ارتكبها واحد منا نحن المدعوين، فقد كنا جميعاً بعيداً عن المائدة حين تسمم الكأس.. إذن لا شك أن شخصاً ما اقترب فى غفلة من الجميع ووضع السم فى كأس جورج.. ولكن من هو؟ ولماذا؟! إننى لا أدرى.

- لقد ثبت أن أحداً. أى أحد. لم يقترب من المائدة أثناء ابتعادكم عنها. إذن.. كيف وصل سم السيانيد الى كأس جورج؟!

- أليست لديك أية فكرة، أو أى شك عمن قد يكون وضع السيانيد فى كأس جورج! حاولى أن تتذكرى.. تذكرى أية حادثة ولو بسيطة..

ورأى وجهها يتغير فجأة، ولاحظ التردد الذى بدا فى عينيها برهة خاطفة، ومرت لحظة دقيقة، حاسمة، قبل أن تقول: - لاشىء.. لا شىء.

ولكنه كان واثقاً أنها رأت شيئاً وتأبى أن تذكره لسبب ما ولم يحاول أن يضغط عليها، فقد كان يعرف أنها من النوع الذى لا يخضع للضغط. فإذا كانت قد قررت، لسبب ما، ألا تصرح بما لديها، فلن تكون ثمة فائدة فى محاولة ثنيها عن هذا القرار.

ولكن هناك شيئاً على كل حال! ترى هل يمكن أن تكون روث هى الجانية، لماذا لا؟ ألم تقل بصراحة أنها كانت تكره روزمارى أشد الكراهية!

لا لا، هذا غير معقول، إن ارتكاب هذه الجرائم يحتاج الى أعصاب حديدية، وتدبير محكم.. وما روث ليسنج إلا فتاة.. قد تكون بارعة قديرة كسكرتيرة، ولكن ليس من المحتمل، هكذا فكر الكلونيل، أن تكون قاتلة.

حديث عن الأرواح

وسرت لوسيلا دريك حين جاء الكلونيل ريس لزيارتها. واستقبلته فى غرفة الجلوس، ولم تلبث، كالمعتاد، أن اندفعت فى ثرثرتها وفى أحاديثها المتصلة بعضها ببعض.

فتحدثت عما ينبغى اتخاذه من ترتيبات لجنازة المستر جورج بارتون، وعما سيجرى فى جلسة التحقيق، وعن تفتيش رجال البوليس لمنزل القتيل، وعن الايحاء الذى جعل المسكين جورج يقيم هذه الحفلة فى اللوكسمبرج.. فلا شك أن هذه الحفلة نتيجة إيحاء ـ هكذا قالت ـ كما يؤكد علماء النفس.. ثم انتقلت إلى الحديث عن ابنها فكتور دريك ـ المسكين ـ الذى يقيم فى الأرجنتين. وبعد ثلث ساعة من الحديث عن فكتور، انتقلت إلى موضوع الخدم، فقالت إن خدم ـ أيام زمان ـ لم يعد لهم وجود، وأن خدم هذه الأيام أصبحوا مدللين لا يصلحون لأى عمل، هذا إلى ألفاظهم النابية وأحاديثهم البذيئة. واستهتارهم فى تحطيم الأوانى والأقداح الزجاجية والأوعية البللورية.. ألا يرى الكلونيل ريس هذا؟!

ـ نعم.. إنى أتفق معك يا مسز دريك فى رأيك عن خدم اليوم.

ـ هذا ما قلته لها.. أعنى للخادم السابقة بيتى آركديل.. ولهذا لم تطق البقاء معنا وقالت بالحرف الواحد قبل أن تخرج إنها ترجو أن تجد بيتاً لا يموت فيه أصحابه قتلا.. نعم.. هكذا قالت بالحرف الواحد يا كلونيل ريس.. لا يموت أصحابه قتلا.. تصور، قالت هذا عقب وفاة المسكينة روزمارى، مع أن قرار قاضى التحقيق اعتبر الحادث انتحاراً.. ولكن الخادمة البذيئة أبت إلا أن تحول الانتحار الى جريمة قتل.

ـ وأين هى هذه الفتاة التى إسمها.. إسمها.

ـ بيتى آركديل.. إنها تشتغل الآن فى منزل مسز ريز تالبوت.

ـ زوجة الميجور تالبوت؟!

ـ نعم.. أتعرفه؟!

ـ كان زميلا لى فى الخدمة.

ـ حسناً.. إذا رأيته فحذره من بذاءة هذه الفتاة الخبيثة.

وانتقلت مسز دريك بعد ذلك إلى موضوع الأسرة، فتحدثت عن أخيها ـ من أبيها ـ هكتور مارل والد روزمارى وإيريس، وكيف قامت هى برعايته بعد وفاة أمه وهو صغير، وكيف نشأ ضعيف الإرادة، سىء الخلق، وكيف تزوج من الحسناء اليتيمة فيولا، وكيف تحول الثرى بنيت من حبيب لها إلى صديق للعائلة، وكيف كان شديد الحب لابنته الروحية روزمارى، وكيف ترك لها ثروته الضخمة.

وعادت تتحدث عن جورج وحفلته التى أقامها فى اليوم السابق، والتى انتهت بوفاته، وتذكرت فجأة، أثناء حديثها، أن اليوم السابق هو

يوم «عيد جميع الأرواح»، وعندئذ سمع الكلونيل ريس صوتاً خفيفاً وراءه، فالتفت بسرعة، فرأى إيريس مارل.. وكان قد رآها من قبل فى لحظات عابرة، ولكنه فى هذه المرة رآها بوضوح، فدهش حين لمح أمارات التوتر العصبى الشديد على وجهها، وفى نظرات عينيها الواسعتين، وهى تلتقى بنظراته، وقبل أن تستدير إيريس لتنسحب، أسرعت لوسيلا دريك تقول لها:

- إيريس يا عزيزتى.. هذا هو الكلونيل ريس.. صديق جورج الحميم وبعد أن صافحت إيريس الكلونيل فى حزن، قال لها:

- لقد جئت لأعرض خدماتى عليكما.

- شكراً على هذا العطف يا كلونيل.

وكان الواضح أنها تعانى من صدمة نفسية عنيفة.. ترى هل كانت شديدة الميل الى جورج، فصدمتها وفاته المفاجئة بهذا العنف!

وركزت نظراتها على لوسيلا دريك وهى تقول:

- فيما كنتما تتحدثان عند دخولى!

فاضطربت لوسيلا برهة، ثم ارتبكت، ثم قالت: - آه.. دعينى أذكر.. كنا نتحدث عن يوم «جميع الأرواح».. ألم يكن يوم أمس، أليست هذه مصادفة عجيبة أن يموت جورج المسكين بهذه الطريقة الغامضة فى عيد جميع الأرواح.

- هل تعنين أن روح روزمارى جاءت فى هذا العيد لتأخذ معها جورج؟!

فأرسلت لوسيلا صيحة فزع خفيفة وقالت:

- أوه.. إيريس.. ما هذه الأفكار الغريبة..؟! الرهيبة؟!

- لماذا غريبة ورهيبه..؟ ألم يكن أمس يوم الموتى.. إن الناس فى باريس يذهبون فى هذا اليوم ليضعوا الزهور على القبور.

- أوه.. نعم أعرف.. ولكنهم هناك يدينون بالكاثوليكية.. فابتسمت إيريس فى شحوب وقالت:

- ظننت أنك تتحدثين عن آنتونى.. آنتونى براون.

- آه.. إذا شئت الحقيقة.. فقد تناولنا آنتونى باشارة عابرة أثناء الحديث، فنحن كما تعرفين، لا نعلم عنه شيئاً.. ثم أنه...

فقاطعتها إيريس بصوت جاف: - ولماذا تريدين أن تعرفى عنه أى شىء؟!

- أليس من الأفضل يا عزيزتى أن يعرف الانسان شيئاً عن أصحابه.

- لسوف تتاح لك الفرصة قريباً لتعرفى عنه كل شىء يا عمتى.. لأنى سأتزوج به.

فهتفت لوسيلا دريك فى صوت يجمع بين العويل والاحتجاج:

- أوه.. لا.. لا يجب أن ترتكبى عملا طائشاً هكذا..

- لقد اتفقنا فعلا يا عمتى لوسيلا.

- لا.. لا.. لا يجوز أن تتحدثى عن الزواج وجسد جورج لم يدفن بعد.. ثم إنى أعتقد يا إيريس أن جورج ما كان ليرضى عن مثل هذا الزواج.

- نعم أعرف. ما كان جورج ليرضى عنه، فقد كان دائم النفور من آنتونى، ولكن هذا لن يكون له أثر فى حياتى الخاصة..

ثم أرسلت ضحكه خفيفة وقالت:

- أنت لا تعلمين أن آنتونى براون طلب أن يتزوج بى ونحن نستعد

للعودة الى لندن من المنزل الريفى ليتل برايور.. طلب أن أذهب معه الى لندن وأتزوج به دون أن يعرف أحد! وليتنى فعلت!

فقال الكلونيل ريس فى رفق: - الواقع أن هذا طلب غريب!

فنظرت اليه فى تحد وقالت: - لا.. لم يكن كذلك.. لو أنى أطعته لوفرت على نفسى كل هذه الضجة.. لماذا لم أثق به؟! لقد طلب منى أن أثق به، ولكنى لم أفعل. على كل حال لسوف أتزوج به فى أسرع وقت يريد.

وانفجرت لوسيلا دريك بعبارات الاحتجاج الشديد، وقرر الكلونيل أن يسيطر على الموقف، فقال لإيريس:

- هل تسمحين لى بكلمة معك على انفراد يا مس مارل؟!

وأومأت الفتاة برأسها وتحركت نحو الباب بينما همس الكلونيل لمسز دريك: - هدئى من نفسك يا مسز دريك.. لسوف أبذل جهدى لإصلاح الأمور ثم تركها وقد هدأت بعض الهدوء، ومضى مع إيريس الى غرفة صغيرة تطل على الحديقة الخلفية للمنزل، وقال للفتاة:

- كل ما أستطيع أن أقول يا مس مارل هو أن المفتش كمب صديق شخصى لى، وهو على أتم استعداد لمعاونتك فى أى وقت.

فنظرت اليه برهة فى صمت ثم قالت فجأة:

- لماذا لم تنضم الينا فى حفلة أمس كما كان جورج يتوقع!

- لم يكن جورج يتوقع حضورى.

- ولكنه قال هذا.

- ربما.. ولكنه لم يكن صادقاً.. كان يعلم تماماً اننى لن أحضر.

ـ ولكن ذلك المقعد الخالى.. لمن كان موضوعاً إذن؟!

ـ لم يكن لى على كل حال.

فشحب وجهها بشدة، وأغمضت عينيها، وهمست فى خوف:

ـ إذن كان موضوعاً لتجلس عليه روزمارى.. فهمت الآن.. إنه كان يتوقع أن يرى شبح روزمارى.

وخيل للكلونيل ريس أنها ستغيب عن وعيها، فقال: ـ هدئى من نفسك يا مس مارل.. تمالكى شعورك.. أرجو منك ـ إننى بخير.. ولكننى لا أدرى ماذا أفعل.. لا أدرى كيف أتصرف ثم نظرت اليه برهة، وأردفت قائلة وهى تلوح بيدها:

ـ يجب أن توضح لى كل الأمور.. نعم.. إن جورج أولا كان يعتقد تماماً أن روزمارى لم تنتحر، وإنما قتلت. وقد بنى اعتقاده على هذه الخطابات المجهولة.. فمن هو المرسل المجهول؟!

ـ إننى لا أعرف، ولا أحد يعرف.. فهل لديك أنت أية فكرة عنه؟!

ـ لا.. مطلقاً.. وأياً كان الأمر، فقد صدق جورج ما ورد بها.. وأقام حفلة أمس لغرض معين.. وضع مقعداً خالياً، لأن أمس كان عيد جميع الأرواح، ولا شك أنه اعتقد أن روح روزمارى ستحضر وتخبره بكل شىء.

ـ أوه.. لا ينبغى يا مس مارل أن تسرفى فى مثل هذا الخيال!!

ـ ولكننى شعرت بها بنفسى.. شعرت بروحها قريبة منى أحياناً.. إننى شقيقتها، وأعتقد أنها تحاول أن تقول لى شيئاً.

ـ خففى عن نفسك يا إيريس.. ما هكذا يكون الخيال!

- بل يجب أن أتحدث عنها بهذه الصورة.. فقد شرب جورج نخبها أمس، ثم مات، فلماذا لا تكون روزماری أخذته معها؟!

- إن أرواح الموتى لا تضع سم السيانيد فى كؤوس الشمبانيا يا عزيزتى

وأعادت هذه العبارة التوازن الى تفكيرها وأعصابها، فقالت فى هدوء.

- نعم.. نعم.. لقد مات جورج مقتولا.. وهذا أعجب ما فى الأمر.. ولكن.. لماذا؟!

- إذا كانت روزماری ماتت مقتولة، واستطاع جورج أن يرتاب فى شخصية القاتل، أفليس من المعقول أن يكون القاتل هو نفسه...

- ولكن روزماری لم تقتل! إنها انتحرت.. وليس من المعقول طبعاً أن تنتحر بسبب الانقباض النفسى الناشىء عن الأنفلونزا، وإنما لسبب أقوى.. أنظر.. لسوف أطلعك على السبب.

ثم غادرت الغرفة بسرعة، وعادت تحمل الرسالة الغرامية، ودستها فى يد الكلونيل، طالبة منه أن يقرأها. وبعد أن قرأها مرتين، أعادها الى الفتاة التى قالت فى لهفة:

- أترى.! لقد كانت محزونة بائسة.. مكسورة القلب.. كارهة للحياة.

- هل تعرفين من هو هذا الحبيب!

- ستيفن فاراداى.. لم يكن آنتونى براون.. وكانت متيمة بحب ستيفن فاراداى، وكان هو قاسياً عليها، ولهذا انتحرت فى اللوكسمبرج أمام عينيه..

فأومأ ريس برأسه، ثم قال بعد برهة صمت:

- متى عثرت على هذه الرسالة؟!

ـ بعد وفاتها بنحو ستة أشهر.. كانت فى جيب ثوب قديم لها.

ـ هل أطلعت جورج عليه؟!

فصاحت فى احتجاج:

ـ كيف يمكن أن أطلعه؟ كيف يمكن؟ إن روزمارى أختى الشقيقة، فكيف أفضحها أمام جورج! لقد كان جد واثق من حبها له، فكيف أحطم يقينه من حبها بعد موتها.. لقد أخطأ هو فهم الموقف من أساسه، ولم أشأ أن أكشف له عن الحقيقة، والآن أريد أن أعرف ماذا ينبغى لى أن أفعل؟! لقد أطلعتك على هذا الخطاب لأنك صديق جورج، فهل يجب أن أطلع المفتش كمب عليه أيضاً.

ـ نعم.. يجب أن يحتفظ به كمب.. فهو دليل من أدلة القضية.

ـ ولكن.. كيف يكون الحال إذا قرأوا هذا الخطاب فى جلسة التحقيق؟!

ـ ليس من الضرورى أن يعلنوا عنه، إنهم الآن يحققون فى مقتل جورج، وهم لا يعلنون على الرأى العام مايمس الحياة الشخصية للقتيل.. ويحسن أن تسلمينى الخطاب الآن.

ـ حسناً.

ورافقته حتى باب المنزل الخارجى، حيث قالت له فجأة:

ـ إن هذا الخطاب دليل على أن روزمارى ماتت منتحرة.. أليس كذلك؟!

ـ نعم.. إنه دليل على وجود الحافز لها للانتحار.

فتنهدت إيريس بعمق: والتفت الكلونيل وراءه وهو يهبط الدرجات الخارجية، فرآها واقفة تنظر اليه وهو يمضى فى طريق الانصراف.

سر المقعد الخالى

كان المفتش كمب فى حالة نفسية سيئة. فقد ظل نصف ساعة وهو يستجوب الجرسون المساعد - بطرس - بمطعم اللوكسمبرج! وكان هذا الجرسون المساعد ابن أخت المتردوتيل تشارلس.

ولكن هذه القرابة لم تكن تعفيه من حملات تشارلس عليه إذا أخطأ أو ارتبك.. بل كان تشارلس يشتد فى تعنيفه أكثر مما يفعل مع الجرسونات الستة المساعدين.. وكان الشاب - كغيره من المساعدين - يجرى هنا وهناك ملبياً طلبات الزبائن الخفيفة.. كالماء، والشطائر، والحلوى، والسجائر، وما الى هذا.. وقد بذل كمب معه كل ما يستطيع من جهد ليظفر منه بشىء يضىء له السبيل فى قضية مقتل جورج بارتون.. ولكن أقوال الشاب، رغم جميع محاولات المفتش معه، لم تتجاوز نطاق هذا الحوار.

- لقد رفعت الحقيبة النسائية من أرضية المطعم، وأعدتها الى مكانها فوق المائدة.

- وكيف عرفت أنها حقيبة إحدى السيدات المدعوات على مائدة

المستر بارتون.

ـ كنت مسرعاً الى الزبون الموسييه وبرت بصحن شطائر عندما رأيت السيدة الصغيرة ذات الثوب الأخضر تنهض مع المدعوين، ثم تسقط حقيبتها عندما اختك ثوبها بها، فلم أفعل أكثر من التقاطها وإعادتها الى سطح المائدة، وأسرعت فى طريقى لأن الموسييه كان يشير إلى بالاسراع.

هذا كل ما استطاع المفتش أن يظفر به من بطرس، الجرسون المساعد، أى أحد الجرسونات الستة الذين يخدمون فى اللوكسمبرج وهم يضعون الفوط حول خصورهم.

وبعد انصراف الشاب المرتعد، أقبل السرجنت بوللوك وأعلن للمفتش كمب أن سيدة تريد أن تقابله بخصوص قضية اللوكسمبرج. فقال له: ـ من هى؟!

ـ تقول إن اسمها كلووست.

ـ دعها تدخل.. ففى مقدورى أن أمنحها عشر دقائق من وقتى.. فإن المستر فراداى سيحضر بعد ذلك. ولا بأس من أن نجعله ينتظر قليلا حتى يعرف أن رجال البوليس لا يخشون الشخصيات الكبيرة.

وعندما دخلت كلووست، خيل الى كمب أنه رآها من قبل، ولكنه لم يذكر أين أو متى، وأخيراً أقنع نفسه بأنه لم يرها. وكانت مس وست فى نحو الخامسة والعشرين، طويلة. كستنائية الشعر، باهرة الجمال، عذبة الصوت برغم نبرات التوتر العصبى الواضحة فيه.

ـ حسناً يا مس وست.. أية خدمة يمكن أن أقوم بها لك؟

ـ لقد قرأت عن حادث اللوكسمبرج.. عن الرجل الذى مات هناك.

ـ المستر جورج بارتون؟ حسناً.! هل تعرفينه؟!

- فى الحقيقة لا أعرفه تماماً.. أعنى، لم تكن معرفتى به وطيدة.

- هل يمكن أن نعرف اسمك الكامل وعنوانك يا مس وست حتى نحدد موقفنا من أقوالك!

- كلو اليزابيث وست، ١٥ ماريفيل كورت، ميدافيل. إننى ممثلة.

فنظر كمب اليها بطرف عينه، وقرر فى نفسه أنها حقاً - ممثلة - ثم قال: - حسناً يا مس وست.

- عندما قرأت أن البوليس يحقق فى وفاة المستر بارتون، رأيت أن من واجبى الحضور اليكم والإدلاء بما أعرفه عن المستر بارتون لصالح التحقيق.

- حسنا يا مس وست.. هذا واجب كل مواطن نحو العدالة.

- إننى لا أقوم بالتمثيل فى الوقت الحاضر، ولكن اسمى وصورتى منشوران فى دليل أهل الفن.. وأكبر ظنى أن المستر بارتون عرفنى عن هذا الطريق.

- حسناً.. حسناً.

- أخبرنى أنه سيقيم حفلة عشاء فى اللوكسمبرج، وأنه يريد أن يقدم مفاجأة غريبة لمدعويه، وسلمنى صورة وطلب منى أن أبدو بالمكياج شبيهة بها تماماً.. والواقع أننى أشبه فعلا صاحبة الصورة الى حد كبير، وأن قليلا من المكياج يجعل الشبه تماماً.

وعندئذ أدرك كمب سر تخيله أنه رأى مس وست من قبل.. فقد شاهد صورة لروزمارى، وأدرك من ثم قوة الشبه بينها وبين هذه الفتاة. وعادت هى تقول:

- وأحضر لى أيضاً ثوباً قال إن صاحبة الصورة كانت ترتديه فى

حفلة سابقة مماثلة فى اللوكسمبرج وقد جئت بهذا الثوب معى الآن، وطلب منى أن أرتدى هذا الثوب، وأن أصفف شعرى بطريقة صاحبة الصورة، وأن أحضر الى اللوكسمبرج عند ابتداء فاصل الكباريه، وأن أجلس بهدوء على المقعد الخالى بين مدعويه. وكان ذهب بى الى المطعم وتناول معى الغداء هناك قبل الحفلة بيوم، وأشار لى على مكان المائدة التى سيحتفل عليها مع مدعويه.

ـ ولماذا لم تحضرى فى الموعد يا مس وست؟!

ـ لأن شخصاً ما.. المستر بارتون، اتصل بى تليفونياً فى تمام الساعة السادسة مساء أمس وقال لى إن الحفلة أجلت وأنه سيخبرنى بموعدها الثانى فى الصباح.. ولكننى قرأت نبأ وفاته.

ـ حسناً فعلت بحضورك الينا يا مس وست.. فقد حللت لنا مشكلة المقعد الخالى.. ولكن.. قلت إن «شخصاً ما» ثم أردفت هذه الكلمة بقولك المستر بارتون.. فلماذا؟

ـ لأنى ظننت فى أول الأمر أن الصوت يختلف بعض الشىء عن صوت المستر بارتون.

ـ هل كان صوت رجل؟

ـ نعم.. أظن هذا.. كان صوتاً مبحوحاً.. بارداً.

وبعد أن انصرفت، قال المفتش كمب لنفسه «أراهن أن المستر بارتون لم يكن هو الذى اتصل بها تليفونياً ليؤجل الحفلة.. هذا واضح لأنها لم تؤجل.. وأراهن أن الصوت لم يكن لرجل، وإنما لا مرأة حاولت أن تجعله يبدو كصوت رجل.. والآن.. لندخل المعمعة مع المستر فاراداى».

فراداى يواجه الحقيقة

كان ستيفن فرادى يصطنع الثبات والبرود وهو يدخل مكتب المفتش كمب فى إدارة اسكتلانديارد.

ولكنه، فى أعماق نفسه، كان يرتعد من الخوف والقلق.. كان يشعر بالعزلة والوحشة لأن ساندرا ليست بجانبه وهو يواجه هذه المحنة.. ترى ماذا يريد المفتش منه! هل عرف شيئاً عن علاقته الغرامية بروزمارى؟! آه لو كانت ساندرا بجانبه، تشد أزره، وتعضده، وتثبت فيه، كعادتها، القوة والثبات!!

واستقبله المفتش بوقار، وقال له فى لهجة خالية من المجاملة:

- سنكتب أقوالك يا مستر فراداى لكى توقعها بعد ذلك: ومن حقك طبعاً أن ترفض الأدلاء بأى أقوال إلا فى حضور أحد المحامين إذا شئت. وحاول ستيفن أن يبتسم ليخفى شعوره المفاجئ بالفزع، ثم قال:

- هل الأمر خطير الى هذا الحد يا مستر كمب!

- إننا نحب أن يكون كل شىء واضحاً بيننا يا مستر فراداى.

- ولكننى ذكرت لكم كل ما لدى من أقوال.

ـ حسناً.. هل كانت لك علاقة خاصة بالمسز بارتون الراحلة!

ـ من قال هذا؟!

فتناول المفتش ورقة مكتوبة بالآلة الكاتبة من سجل أمامه، وقال:

ـ هذه صورة من خطاب عثرنا عليه بين حاجيات المسز بارتون.. أما الأصل فهو محفوظ لدينا. وقد سلمته لنا مس مارل.. إيريس.. التى تعرف عن يقين خط أختها.

وبدأ ستيفن يقرأ: «عزيزى ليوبارد».

وأحس كأنه سيغيب عن وعيه.. فقد شعر كأنما روزمارى قامت من قبرها لتتحدث إليه!! أليس من سبيل الى دفن الماضى معها!! ألا تريد هذه الفتاة.. أن تموت!! وجمع نفسه وقال:

ـ قد تكون محقاً فى ظنك أنها هى كاتبة هذه الرسالة.. ولكن ليس هناك ما يدل على أنها خاصة بى!

ـ هل تنكر أنك كنت مستأجراً لمسكن خاص فى شارع مالابد، حى إيرل كوارت رقم ٢١؟!

إذن فقد عرفوا الحقيقة؟ ترى هل كانوا يعرفونها منذ أن اتصل بروزمارى لأول مرة!! وهز كتفيه وقال:

ـ يبدو أنك تعرف الكثير يا مستر كمب. ولكن هل يمكن أن أعرف لماذا تنشرون شئونى الخاصة على الملأ؟!

ـ إننا لا ننشرها إلا إذا كان لها علاقة أكيده بوفاة جورج بارتون.

ـ آه.. كأنك ترى أننى أحببت زوجته أولا، ثم قتلته؟

- سأكون صريحا معك يا مستر فرادى.. لقد كنت ومسز بارتون صديقين حميمين. ثم افترقت عنها برغبتك، لا برغبتها هى. وهى فى هذا الخطاب تلوح بإثارة فضيحة.. وعندئذ، ماتت.. فما رأيك!

- لقد انتحرت.. ويمكن القول إننى مسئول الى حد ما عن انتحارها.. ولعلى أشعر بعذاب الضمير.. ولكن ليس للقانون شأن بهذا!

- ربما انتحرت.. ربما لم تنتحر.. ولكن جورج بارتون كان يعتقد أنها قتلت. ومن ثم راح يبحث ويتحرى.. وفجأة مات.. مسموما.

- ولكننى لا أدرى لماذا.. لماذا تتهمنى أنا؟!

- لقد اعترفت أن موت روزمارى أنقذك.. أنقذك من فضيحة رهيبة.

- لا.. لم يكن هناك احتمال فى فضيحة من أى نوع.. كنت واثقاً أن روزمارى ستقدر ظروفى.

- من يدرى! هل كانت زوجتك تعلم بهذا الموضوع يا مستر فراداى.

- طبعاً لا.

- هل أنت واثق من هذه الاجابة؟!

- نعم.. إن زوجتى لا تعلم أكثر من وجود صداقة بريئة عادية كانت بينى وبين روزمارى. وإنى أرجو أن تظل غافلة عن هذا الموضوع دائماً.

- هل زوجتك سيدة غيور يا مستر فراداى؟!

- لا.. أبداً.. لم يبد عليها أى نوع من الغيرة فى يوم ما.. إنها سيدة عاقلة متزنة التفكير.

- هل حدث فى يوم ما خلال هذه السنة الماضية أن كانت لديك

أية كمية من سيانيد البوتاسيوم؟

ـ لا.. مطلقاً.

ـ ولكنك تحتفظ بكمية منه بين حاجياتك فى الريف!

ـ قد يكون البستانى محتفظاً بكمية منه.. أما أنا فلا.

ـ ألم تشتر بنفسك أية كمية منه للاستعمال فى التصوير الفوتغرافى!

ـ إننى لا أعرف شيئاً عن فن التصوير الفوتغرافى.. ولم أشتر أية كمية من السيانيد.

وألقى كمب عليه بعض أسئلة قليلة أخرى قبل أن يأذن له بالانصراف. ثم قال لمرؤوسه السرجنت بوللوك فى شرود ذهن:

ـ لقد كان سريعاً أكثر مما ينبغى فى قوله إن زوجته لا تعلم شيئاً عن موضوع علاقته بروزمارى.. فلماذا؟! إننى أتعجب!

ـ لعله كان يخشى أن تعلم زوجته بهذا الأمر.

ـ ربما.. ولكنى أعتقد أنه ذكى بارع.. وهو يريد أن يبين لنا أن زوجته ليس لها أدنى علاقة بالأمر ما دامت جاهلة بكل شىء عن علاقته بروزمارى.

ثم هز كتفيه وعاد يقول:

ـ أياً كان الأمر فان الكلونيل ريس مسرور بما وصل إليه من معلومات.. فاذا صحت هذه المعلومات، فان فراداى وزوجته سيخرجان من هذا الموضوع. وليس أحب إلىّ من خروجهما. فانى شخصيا معجب بهذا الشاب ستيفن ولا أظن أنه مجرم.

سر أنتونى براون

نظر أنتونى براون الى البطاقة التى حملها اليه غلام الفندق، وقال: - حسناً.. دعه يتفضل بالدخول.

وعندما دخل الكلونيل ريس. قال له بهدوء:

- كلونيل ريس؟! كنت صديقاً للراحل جورج بارتون! كان يتحدث عنك كثيراً.. سيجارة؟!

- شكراً.. نعم.

- كنا نتوقع حضورك ليلة أمس.. ولكنك لم تحضر.. وحسناً فعلت.

- لم يكن جورج يتوقع حضورى أمس..

- أحقاً!! ولكن بارتون كان..

- ربما قال لكم هذا.. ولكنه كان فى الواقع يعد لكم مفاجأة غريبة.. كان يتوقع أن تجلس على المقعد الخالى ممثلة مغمورة تدعى «كلووست».

- لماذا؟!

- لأن كلو وست تشبه روزمارى الى حد كبير.

ـ آه.. بدأت أفهم.

ـ لقد أعطاها صورة لروزماري، ونفس الثوب الذى كانت ترتديه روزماري عند مقتلها، وطلب منها أن تستكمل الشبه بالمكياج وترتدى نفس الثوب وتحضر الحفلة فجأة.

ـ إذن كانت تلك هى خطة جورج بارتون.. تنخفض الأنوار.. ثم تسطع، وإذا نحن نشهق من فرط الفزع حين نرى روزماري جالسة بيننا.. وإذا أحدنا يفقد زمام أعصابه ويصيح «أنا فعلتها.. أنا قتلتها» يا لك من أحمق مسكين غبى يا جورج بارتون.

ـ ماذا تعنى يا مستر براون.!

ـ أتعتقد أن مجرما خطيراً كان سيفزع من مفاجأة كهذه؟

ـ نعم هذا محتمل... ولعلها قتلت لأنها عرفت سراً معينا.. عرفت الاسم الحقيقى لشخص معين، فهددها بالقتل إن باحت به لأحد.. ما رأيك يا مستر تونى موريللى؟!

فصمت آنتونى برهة أشعل خلالها سيجارة أخرى ثم قال بهدوء مثير: ـ كيف عرفت هذا؟!

هل تعترف بأنك تونى موريللى؟!

ـ إننى لا أفكر فى إضاعة الوقت بالإنكار.. فلاشك أنك أبرقت الى أمريكا وعرفت كل شىء عنى!.

ـ وأنت تعترف أنك هددت «روزماري» بالموت بعد أن عرفت اسمك الحقيقى؟! لقد سمعتك الخادمة بيتى وأنت تهددها.

ـ لقد بذلت كل ما فى وسعى لإفزاعها حتى تكتم سر إسمى الحقيقى.

فنظر الكلونيل ريس الى الشاب فى دهشة وفضول وهو يشعر أن هذه المقابلة لن تأتى بالنتيجة التى كان يتوقعها.. وخيل اليه برهة أن هذا الشاب ليس هو غريبا عليه كمدير سابق لإدارة مكافحة الجاسوسية. وهز كتفيه أخيراً وقال له:

ـ هل تحب يا موريللى أن أقرأ عليك ملخص تقرير عن حياتك؟!

ـ ليس أحب إلى من هذا.

ـ لقد حكم عليك بالسجن فى الولايات المتحدة بتهمة القيام بأعمال تخريبية بمصانع إيرسكين للطيارات. وبعد أن أمضيت مدة السجن وخرجت، اختفيت عن أنظار السلطات المسئولة. ثم عرف عنك أنك مقيم فى فندق كلاريدج بلندن منتحلا اسم آنتونى براون. وهنا أنشأت علاقة مودة مع اللورد ديوزبرى وعن طريقه تعرفت ببعض أقطاب الصناعات الحربية. وقد أقمت بضعه أسابيع فى قصر اللورد ديوزبرى، واستغللت إقامتك كضيف عنده فى الإطلاع على أسرار ما كان ينبغى لك الاطلاع عليها.. وإنها لمصادفة مريبة أن تقع بعض حوادث التخريب التى كادت أن تؤدى الى كارثة ـ لولا لطف الله ـ فى المصانع التى سبق أن قمت بزيارتها.

ـ إن المصادفات، عادة، شىء يثير الفضول!

ـ وأخيراً، بعد وقت آخر، عدت للظهور فى لندن، وجددت اتصالك بالآنسة مارل، معتذراً عن زيارتها بالبيت، حتى لا تعرف أسرتها مدى علاقتك بها، وفى النهاية حاولت استدراجها للزواج بك سراً.

ثم نظر الكلونيل اليه فى حدة وأردف قائلا:

- عليك أن تفسر لنا الشىء الكثير من تصرفاتك يا موريللى.

- ولماذا أفسرها مادمت أعترف بكل ما ذكرته عنى! لقد سجنت حقاً فى أمريكا، وتعرفت بأصدقاء معينين، وأحببت فتاة جميلة، وأردت زواجها.

- كنت تسعى ملهوفاً الى الزواج منها - سراً - قبل أن تعرف أسرتها عنك شيئاً.. إن إيريس مارل فتاة واسعة الثراء.. الآن!.

- نعم.. أعرف.. والمال الكثير يجعل أهل الفتاة سخفاء متزمتين فى مسألة زواجها. وإن إيريس - كما تعلم - لا تعرف شيئاً عن ماضى الحافل.

- أخشى القول إنها سوف تعرف كل شىء.. ويبدو أنك لا تدرك... فأرسل آنتونى ضحكة خفيفة وقال:

- لا أدرك خطر موقفى.. أليس كذلك؟ إنكم تتهموننى بقتل روزمارى حتى لا تفشى سر إسمى الحقيقى، وقتلت جورج بارتون حتى لا يمنع زواجى من إيريس، وأنا الآن أسعى الى ثروتها.. إنها إتهامات معقولة ومنطقية.. ولكن.. أين هو الدليل؟

فنظر ريس اليه مرة أخرى فى دهشة وفضول ثم قال:

- إن كل ما قلته عنك يا مستر موريللى لا يخالف الحقيقة.. ولكنه فى نفس الوقت خطأ فى خطأ.

- ما هو الخطأ.!!

- أنت يا موريللى.. كنت أظن أنك المجرم الحقيقى حتى رأيتك.. فلما

رأيتك آمنت أنك لست مجرماً .. ليس فى مظهرك ما يدل على أنك مجرم.. وما دمت لست مجرماً، فأنت واحد من أمثالنا .. هل أنا على حق أم ضلال؟!

فصمت أنتونى برهة.. ثم إذا الابتسام يملأ صفحة وجهه تدريجياً وهو يقول:

ـ من عجائب الأمور فى الحياة أن يشعر الانسان نحو انسان آخر أنه من نوعه.. من مثله، ولعل هذا هو السبب الذى جعلنى أتحاشى لقاءك دائماً .. فقد كنت أخشى أن تعرف حقيقة أمرى يا كلونيل.. أن تعرف حقيقة الدور الخطير الذى أقوم به. وكان من المهم جداً حينذاك الا يعرف أحد عنى حقيقة أمرى، ولكن الحمد لله.. لقد انتهى كل شىء، ووضعنا تماماً فى الشبكة جميع أفراد العصابة الدولية لتخريب مصانع الأسلحة فى دول الحلفاء، وكنت أشتغل فى هذه المهمة منذ ثلاث سنوات.. كنت أندس بين صفوف العمال المشاغبين وأحضر اجتماعاتهم السرية، وأتصل برؤساء العصابة الفوضوية، وأشتهر بينهم بأنى من كبار المخربين الفوضويين لاسيما بعد أن ثبت لهم أنى سجنت فى أمريكا بسبب تهمة التخريب، واضطررت الى تغيير إسمى من تونى موريللى الى آنتونى براون.. لقد كان الحكم على بالسجن فى أمريكا لونا من الخداع والتضليل حتى أشق طريقى بين عصابة الفوضويين، وقد نجحت الخطة كل النجاح.

وعندما جئت الى هنا لأظهر صفوف العمال من المشاغبين والهدامين، رأيت الأحوال بينهم تزداد سوءاً يوما بعد يوم، ولكنى استطعت أن أتصل برؤساء الجمعية الهدامة فى مركزها بوسط أوروبا، وأن أتلقى تعليماتهم بالإقامة فى فندق كلاريدج ومحاولة عقد صداقة مع اللورد ديوزبيرى ـ رئيس اتحاد الصناعات الحربية ـ وذلك

للقيام بنشاط هدام فى المصانع بمساعدة مندوبى العصابة فى لندن، واتصلت يومذاك بروزمارى على أنى من شباب المجتمع الراقى بلندن، ولكن.. لشد ما كان فزعى حين ادركت أنها تعرف إسمى الحقيقى تونى موريللى، وتعرف أنى سجنت فى أمريكا.. وقد فزعت من أجلها هى.. فلو أن مندوبى العصابة علموا أنها تعرف سرى لما ترددوا فى قتلها فوراً.. إنهم لا يتورعون عن ارتكاب أية جريمة فى سبيل تحقيق أهدافهم، ولهذا بذلت جهدى لإفزاعها حتى تكتم السر ولكنى كنت اعرف انها من النوع الذى لا يستطيع بأى حال، أن يحتفظ بسر مهما يكن خطيراً.. وفيما كنت اتحدث معها بهذا الشأن رأيت إيريس وهى تهبط السلم، وأقسمت حينئذ أن أسعى للزواج منها، من إيريس، بمجرد اتمام مهمتى السرية بنجاح.

وحين أوشكت المهمة على الانتهاء، عدت واتصلت بإيريس، ولكنى الاتصال بأسرتها خشية أن يقوموا بمحاولات لمعرفة كل شىء عنى، وكان الواجب على أن أبقى محتفظا بسرى فترة طويلة حتى لا أتعرض لانتقام بعض رؤساء الجمعية المقيمين فى أوروبا الوسطى، وقد شعرت بالقلق على إيريس حين رأيتها خائفة مريضة، وكان جورج شاذاً غريبا فى تصرفاته، فرأيت أن أتزوج بها سراً، لأحميها، ولكنها رفضت، ولعلها أحسنت. ثم ألح على جورج لحضور حفلة فى اللوكسمبرج، فلم أستطع الرفض، وكنت أعلم أنك يا سيدى الكلونيل قد تحضر فى أية لحظة، ولهذا قررت فى نفسى أن أنصرف عن الحفلة بمجرد وصولك، وكنت أنوى فى تلك الليلة ان التقى برجل عرفته فى امريكان يدعى موناتى كولمان.. رأيته فى لندن فى تلك الليلة، ولكنى أعتقد أنه لم يتذكرنى.. المهم أنى أردت الاستمرار فى

تجنب الظهور أمامك حتى لا تفطن الى حقيقتى قبل انتهاء المهمة السرية تماما، وقد عرفت يا كلونيل ما حدث بعد ذلك.. فقد مات جورج بارتون.. ولست أعرف من القاتل له ولزوجته.

- أليست لديك أية فكرة؟!

- لابد أن يكون القاتل هو الجرسون، أو أحد المدعوين الخمسة فى الحفلة، وأنا أستبعد الجرسون، واستبعد نفسى وإيريس.. أى لم يبق إلا ستيفن فراداى وزوجته وروث ليسنج.. وأكبر ظنى أنها روث ليسنج.

- ألديك من الأسباب ما يبرر هذا الظن؟!

- لا.. ولكنى أرى أنها الشخصية الوحيدة التى يتوافر لديها الباعث على قتل ، ثم قتل جورج بارتون حين علمت أنه يسعى للكشف عن قاتل زوجته.. ولكننى لا أدرى كيف دست السم فى الحادثين.. فقد كانت جالسة فى كلتا المرتين فى مكان من المائدة يستحيل عليها منه أن تعبث بكأس روزمارى أو جورج دون أن يراها أحد.. وكلما أمعنت التفكير فيما حدث أمس، ازددت يقينا بأنه من المستحيل أن يكون جورج مات مسمما.

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلا:

- وثمة أمر آخر يحيرنى.. انهما الرسالتان المجهولتان.. هل عرفت يا كلونيل مرسلهما المجهول! إنهما الرسالتان اللتان جعلتا بارتون يكرس وقته للبحث عن قاتل زوجته بأى ثمن.

فهز الكلونيل رأسه وقال: «لا».

كيس السم

علم أنتونى براون ـ تليفونياً ـ أن المسز دريك ستخرج فى تمام الساعة الخامسة بعد الظهر لتشرب قدح شاى أو قهوة مع صديقة لها.

وقرر آنتونى أن يصل الى منزل إيريس بعد خروج مسز دريك بنحو ثلث ساعة حتى يطمئن تماماً الى أنها خرجت، فقد كان يريد أن يقابل إيريس ـ لا مسز دريك التى لا تترك مجالا لأحد ليقاطع حديثها المتصل ـ فلما وصل الى المنزل، استقبلته خادمة جديدة، وأخبرته أن المس مارل جاءت لتوها من الخارج، وأنها فى غرفة المكتبة، فقال آنتونى لها، أى للخادم باسماً.

ـ لا تتعبى نفسك بتوصيلى اليها.. فانى أعرف الطريق الى غرفة المكتبة ولما وصل الى الغرفة، استدارت ايريس نحوه فى اضطراب وتمتمت: ـ أوه.. أهذا أنت!!..

فأسرع اليها ملهوفاً وقال: ـ ماذا بك يا عزيزتى.

ـ لا شىء.. لا شىء كدت فقط أن أموت تحت عجلات سيارة مسرعة وأعتقد أننى المخطئة.. فقد كنت مشغولة الذهن بالتفكير

العميق، واندفعت السيارة نحو المنعطف وكادت تقضى على..

- يجب أن تكونى أشد حذراً يا إيريس.. إننى شديد القلق عليك، لا لأنك تروحين ضحية تحت عجلات سيارة مسرعة، وإنما لتعودك على الاستغراق فى التفكير أثناء مسيرك فى طريق مزدحم.. فيم كنت تفكرين يا عزيزتى.. فى شىء مهم.. خاص!!.

فأومأت برأسها، ثم نظرت اليه بعينين زاخرتين بالخوف والفزع، ثم قالت: - إنى خائفة....

فجلس آنتونى على أريكة جلدية، وأجلس إيريس بجانبه، وقال:

- هلم صارحينى بكل شىء.. ماذا يخيفك..!!

- إننى أريد أن أصارحك.. ولكننى لا أدرى ماذا ستقول عن نفسك!

فلما ضحك، قالت بسرعة: - إن الأمر أخطر جداً مما تظن.. إنه بخصوص الليلة الماضية.

- أهكذا!...

- نعم.. هل حضرت أنت جلسة التحقيق الأولى فى هذا الصباح..؟

- نعم.. قرر الطبيب الشرعى أن الوفاة نشأت عن سم سيانيد البوتاسيوم وسجلت أقوال الضابط الذى حضر الى اللوكسمبرج عقب الحادث مباشرة للمحافظة على النظام، وبعد أن قرر الشهود رسمياً أن القتيل هو جورج بارتون، تأجلت الجلسة الى الأسبوع الآتى.

فقالت إيريس:

- لقد ذكر المفتش كمب أنه عثر على كيس صغير من الورق به آثار سيانيد البوتاسيوم تحت المائدة..

- نعم. فالواضح أن الذى وضع السم فى كأس بارتون، القى بالكيس تحت المائدة، فمن الخطر الشديد أن يحتفظ به فى تلك اللحظة.

ولشد ما كانت دهشة آنتونى براون حين رأى إيريس ترتعد قائلة:

ـ لا.. لا.. لا.. يا آنتونى.. لم يكن الأمر كما تقول.

ـ ماذا تعنين يا عزيزتى.. ما شأنك أنت بهذا الأمر!

ـ أنا التى أسقطت هذا الكيس الصغير تحت المائدة..

فنظر اليها فى دهشة بالغة بينما أردفت هى قائلة:

ـ استمع يا آنتونى.. هل تذكر كيف شرب جورج كأسه ثم مات؟!

ـ نعم أذكر...

ـ كان الأمر فظيعاً.. كحام مزعج.. جاء بعد أن ظننا أن كل شىء أصبح على ما يرام.. أعنى بعد أن سطعت الأنوار عقب فاصل الكباريه.. فقد هدأت نفسى كثيراً عندما سطعت الأنوار دون أن يحدث شىء.. فقد كنت أخشى أن يتكرر حادث روزمارى أثناء فاصل الكباريه.. كنت أشعر أنها.. معنا.. أعنى.. كانت روحها معنا.. على المائدة..

ـ تمالكى نفسك يا عزيزتى..

ـ أوه.. أعرف أن أعصابى مضطربة.. ولكنى واثقة أنها كانت بروحها، معنا.. فلما سطعت الأنوار تنهدت فى ارتياح وأدركت أن كل شىء انتهى، وأن من الممكن أن نبدأ حياة جديدة ليس فيها ذكرى مؤلمة لروزمارى.. وهكذا رقصت مع جورج وأنا أشعر لأول مرة فى حياتى بالبهجة الحقيقية.. ثم عدنا الى المائدة.. وتحدث جورج فجأة عن روزمارى وطلب الينا أن نشرب نخب ذكراها.. وعندئذ مات.. وعاد الكابوس.

وصمتت إيريس برهة قبل أن تستطرد قائلة:

ـ لقد أحسست عندئذ كأنى شللت.. فبقيت واقفة فى مكانى أرتعد.. وجئت أنت لترى ما بى، وأقبل الجرسونات، واستدعى بعضهم

الطبيب.. وفى خلال هذا كله بقيت واقفة كالتمثال، ثم اذا الدموع، أخيرا، تنهمر من عينى، ففتحت حقيبة يدى، وتناولت منها منديلا.. وعندئذ وجدت شيئاً فى طيات المنديل. كيسا صغيرا من الورق الأبيض. كيساً صغيرا من هذه الأكياس التى يبيع فيها الصيدلى بعض المساحيق الضئيلة.. وقد دهشت طبعا، لأنه لم يكن فى يدى كيس كهذا عندما غادرت المنزل الى اللوكسمبرج. لقد كانت الحقيبة خالية من كل شىء فى غرفتى بالمنزل. ومن ثم وضعت فيها بيدى أدوات التجميل، ومشطاً صغيراً، ومنديلا، وثلاثة شلنات ونصف شلن. ومعنى هذا أن شخصاً ما، شخصاً مجهولاً، دس هذا الكيس الدقيق فى حقيبة يدى. لاشك فى هذا. وتذكرت كيف عثر البوليس على كيس كهذا فى حقيبة يد روزمارى عقب وفاتها، وكانت به كمية من سيانيد البوتاسيوم. وهكذا شعرت بالفزع، الفزع الرهيب. وتخاذلت أصابعى، وسقط الكيس من المنديل الى الأرض تحت المائدة. وتركته يسقط. ولم أخبر أحداً بهذا الأمر. فقد كنت جد خائفة. فإن شخصاً ما أراد أن يلصق تهمة قتل جورج بى، وأنا بريئة منها.

وأرسل آنتونى صفيراً خفيفاً من شفتيه ثم قال: هل رآك احد؟!

- لست متأكدة تماماً. أعتقد أن روث ليسنج لاحظت الأمر، ولكن كان يبدو عليها أنها فى حالة ذهول، ومن ثم لا أعلم يقيناً هل لاحظت شيئاً أم لعلها كانت تحدق النظر دون أن ترى شيئاً يجرى أمامها.

- حقاً إنه لمازق حرج يا عزيزتى.

- أخشى أن يكتشف البوليس هذه الحقيقة.

- لا شك أنهم سيكتشفونها، فإن على الكيس بصمات أصابعك.

- لا. لقد كنت أمسكه بالمنديل.

- هذا من حسن حظك.

ـ ولكن. من الذى دسه فى حقيبتى؟ لقد كانت معى طوال السهرة للرقص مع جورج بعد فاصل الكباريه. ومن الممكن لأى شخص حينئذ أن يعبث بها فى غفلة عنا. ثم هناك غرفة ملابس وزينة السيدات فى اللوكسمبرج. أريد أن تقدمى لى صورة وصفية لما تفعله السيدات فى هذه الغرفة.

ـ لقد وقفنا جميعاً.. ساندرا وروث ليسنج وأنا أمام منضدة زينة مستطيلة ذات مرآة كبيرة، ووضعنا حقائبنا اليدوية عليها.. ورحنا ننظر الى وجوهنا فى المرآة.. ثم أخذت روث تضع البودرة على وجهها.. وشرعت ساندرا تربت شعرها المصفف وتضع فيه دبوساً هنا أو هناك.. وخلعت أنا معطفى الفرو وسلمته للسيدة المختصة بحفظ الملابس، ثم تبينت أن يدى ملوثة بالطين، فذهبت الى الحوض وغسلتها.

ـ ذهبت تاركة حقيبة يدك على منضدة الزينة!!

ـ نعم.. وبعد أن غسلت يدى، كانت روث لا تزال تضع البودرة على وجهها، وكانت ساندرا عندئذ تسلم معطفها للسيدة المختصة، ثم عادت الى منضدة الزينة، وذهبت روث الى الحوض لتغسل يديها، وعدت أنا الى منضدة الزينة لأتحمل.. وأثبت تصفيفة شعرى.

ـ إذن.. كان فى مقدور أية واحدة منهما أن تدس الكيس فى حقيبة يدك دون أن يراها أحد.

ـ نعم.. ولكننى أعتقد أنه لا يمكن أن ترتكب ساندرا أو روث عملا كهذا!!

ـ إن ساندرا تبدو كسيدات العصور الوسطى من الطبقة الراقية.. أى أنها من النوع الذى لا يتردد فى احراق أعدائه أحياء.. أما روث، فانها تبدو لى الأنموذج الكامل للقاتلة بالسم!

ـ إذا كانت روث.. فلماذا لم تقل للبوليس إنها رأتنى وأنا ألقى بالكيس.

- آه.. هذه نقطة هامة.. إذا كانت روث هى التى دست الكيس فى منديلك بالحقيبة، فلاشك أنها تحرص على أن يبقى موجوداً بها، وإذا سقط أعلنت عن سقوطه فوراً حتى تحقق غرضها. وما دامت لم تعلن فالواضح أنها ليست هى التى وضعته.. ولكن الجرسون... الجرسون هو الشخصية الوحيدة التى يمكنها القيام بهذا كله دون أن يفطن أحد.. فلو ثبت لنا مثلا أن اللوكسمبرج استأجر فى هذه الليلة جرسوناً مساعداً غريباً أو جديداً، لوضحت كل الأمور.. ولكن.. لم يكن أمامنا غير جوزيب الإيطالى، وبطرس.

- إننى سعيدة إذ أخبرتك بهذا.. ولا يعرفه أحد غيرنا الآن..

- لا لا يا عزيزتى.. لسوف أمضى بك الآن الى المفتش كمب..

- أرجو منك يا آنتونى..؟ ربما يظنون أننى القاتلة!

- إن ظنهم سيكون أشد إذا عرفوا أن الكيس وقع من حقيبة يدك دون أن تخبريهم بالأمر، إن دفاعك عن نفسك حينئذ لن يكون مقبولا.. أما إذا تطوعت الآن بأخبارهم بالحقيقة، فهناك احتمال كبير فى تصديقهم لك.

وعبثاً حاولت إيريس أن تمنعه من اصطحابها الى المفتش كمب.. وفيما هما يسيران فى الصالة نحو باب الخروج، إذا بجرس الباب الخارجى يدق، وإذا إيريس تقول: - أوه.. نسيت.. إنها روث.. قالت إنها ستأتى إلى هنا بعد أن تفرغ من عملها فى المكتب لتشرف على شؤون الجنازة.. إنها ستكون بعد غد.. وكنت فكرت فى أننا نستطيع أن نتبادل الآراء فى هذا الموضوع أثناء غياب عمتى لوسيلا الآن.. لأن عمتى لا تسمح لأحد بالحديث فى وجودها.

وتقدم آنتونى نحو الباب ليفتحه.. سابقاً الخادم التى كانت مسرعة، فلما فتح الباب، دخلت روث متعبة، مرتبكة، مضطربة الهيئة، تحمل حافظة أوراق كبيرة، تقول: إننى آسفة لتأخرى.. فقد كانت

محطة المترو مزدحمة جداً، فمضيت الى محطة السيارات العامة حيث فاتتنى ثلاث سيارات كاملة العدد.. ولم أستطع العثور على تاكسى.

وبدت روث، لآنتونى براون، أنها ليست السكرتيرة القديرة التى كانت لا تضطر إلى الاعتذار عن أى عمل. وهذا دليل جديد على تأثير وفاة جورج فى نفسيتها وفى زلزلة كفاءتها غير الطبيعية.

وقالت إيريس: - إننى لن أستطيع الذهاب معك الآن يا آنتونى.. يجب أن أرتب الأمور مع روث.

- إن موضوعنا أهم من أى ترتيب للأمور.. يؤسفنى يا مس ليسنج أن أحرمك من إيريس بهذا الشكل.. ولكن المسألة مهمة جداً.

فأسرعت روث تقول: - حسناً يا مستر براون.. يمكننى أن أرتب كل شىء مع مسز دريك.. فأنا أعرف كيف أتحدث معها..

ثم التفتت الى إيريس وأردفت قائلة: - ألديك يا إيريس أية تعليمات خاصة بشأن الجنازة؟!

- لا.. مطلقاً.. يمكنك أن تتفقى مع عمتى لوسيلا على كل شىء.. فأنا شخصياً لا أهتم بتقاليد الجنازات وما الى هذا.. أما عمتى، فانها تحتم أن تكون الجنازة مهيبة فاخرة، وكأنما تظن أن مهابتها ستعيد الحياة الى الموتى.

ولم تجب روث بشىء، فعادت إيريس تؤكد قائلة بعناد:

- ولكن الموتى لا يعودون إلى الحياة فى هذه الدنيا.

فأسرع آنتونى، وأمسك بذراعها، وغادر معها المنزل، واستقل وإياها سيارة مأجورة، انطلقت بهما الى ادارة استكلانديارد.

خدعة بسيطة

كان الرجال الثلاثة جالسين فى مشرب عام حول مائدة مستديرة ذات سطح رخامى.

الكلونيل ريس، والمفتش كمب يشربان شاياً ثقيلاً بغير لبن فى فنجانين من الخزف. وكان معهما آنتونى براون يشرب القهوة فى فنجان ثالث يشبه فنجانهما تماماً.. فقد كان المشرب يقدم القهوة والشاى فى فنجانين متماثلة.. وكان المفتش كمب، بعد أن تأكد من شخصية آنتونى براون، قد وافق على اعتباره زميلا فى المهنة!

قال وهو يضع أربع قطع من السكر فى شايه الأسود: ـ رأيى أن هذه القضية لن تعرض على المحكمة، ولن نحصل أبداً على الأدلة الكافية لإدانة أحد من الذين تشتبه فيهم.

وبعد برهة من الصمت، عاد يقول: ـ إن الأمل الوحيد هو استطاعتنا الاثبات بأن واحداً من المشتبه فيهم الخمسة اشترى سيانيد البوتاسيوم من مكان معين، أو يحتفظ بكمية منه فى مكان خاص.. ولكننا حتى الآن لم نستطع إثبات شىء من هذا القبيل.. إنها إحدى القضايا القليلة التى يعرف فيها البوليس شخصية المجرم دون القدرة على إثبات الجريمة عليه. وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلا: ـ ثم هاتان الجريمتان.. ولنصرف النظر عن الجريمة الأولى..

فقد مضى عليها عام ونحن لا نعرف على وجه التحديد ماذا حدث، ولكن الجريمة الثانية وقعت أمس، وأمام عيوننا، لقد رأيت أمس ماذا حدث، ويجب أن أعرف كيف حدث.. إن أنسب وقت لوضع السيانيد فى كأس بارتون هو أثناء فاصل الكباريه، ولكن هذا لم يكن ممكناً.. فقد شرب بارتون من كأسه عقب فاصل الكباريه.. رأيته بعينى وهو يشرب، وبعد أن شرب، لم يضع أحد شيئاً فى كأسه.. لم يلمس أحد كأسه على الإطلاق، ومع ذلك فقد كان كأسه مليئا بالسيانيد حين شرب منه فى المرة الأخيرة.. من المستحيل أن يكون مات مسمما، ولكنه مات مسمما فعلا.. كان فى كأسه سم السيانيد.. ومع ذلك لم يكن فى مقدور أحد أن يضع السم فى كأسه.. هل تفهمان ما أعنى. فقال الكلونيل ريس: ـ لا.. لا.

وراح آنتونى براون يتأرجح بمقعده وهو مقطب الجبين، ثم صاح فجأة: ـ آه.. فهمت.. فهمت.. عرفت.. عرفت.. يا للسماء.. الجرسون.. وحقيبة اليد. ـ الجرسون؟!

ـ لا لا.. ليس هذا ما أعنى.. لقد قلت مرة أن الحل لهذه المشكلة هو فى وجود جرسون لم يكن جرسوناً حقيقياً، وإنما له خفة يد الحاوى.. جرسون يكون قد التحق بالعمل فى اللوكسمبرج قبل الحفلة بيوم أو فى نفس اليوم ولكن الحقيقة أن الجرسون الذى كان يقوم بالخدمة هو جرسون حقيقى، يساعده جرسون مساعد يمت بصلة القربى للمتردوتيل.. أى جرسون مساعد فوق الشبهات.. وهو لا يزال حتى الآن فوق الشبهات، ولكنه لعب دوره الرئيسى.

ثم حملق فى وجهيهما وأردف قائلا: ـ ألا تريان؟ إن فى مقدور الجرسون أن يسمم كأس الشمبانيا، ولكن الجرسون لم يفعل هذا. لم يلمس أحد كأس جورج. ومع ذلك مات جورج مسمما.. إن «جورج»

كلمة مفردة و«كأس جورج» كلمة مضافة الى كلمة.. والكلمة المفردة تختلف عن الكلمة المضافة الى كلمة.. ثم هناك المال.. المال الكثير.. وربما هناك الحب أيضاً.. لا تنظرا الى هكذا كأنى مجنون.. هلما معى.. سأريكما ما أعنى. وأزاح مقعده الى الوراء، وأمسك بذراع كمب وقال: ـ تعال معى.

ونظر كمب الى فنجان شايه الممتلئ الى النصف فى أسف، ثم غمغم قائلا: ـ يجب أن أدفع الحساب أولا.

ـ لا لا.. سوف نعود بعد لحظة.. سأريكما شيئاً خارج المشرب.. هلم يا كلونيل ريس. وبعد أن أزاح المنضدة المستديرة جانباً، مضى معهما الى الردهة الخارجية للمشرب، ثم أشار الى مكتب التليفون العمومى وقال: ـ أترىان هذا التليفون؟ ثم دس يده فى جيبه وأردف قائلا: ـ آه.. ولكن ليس معى للأسف قطعة نقد صغيرة.. حسناً.. لقد فكرت أن أؤجل الحديث الآن.. هلما نعود الى أماكننا. وعاد الثلاثة الى النضدة المستديرة: المفتش كمب أولا، ثم ريس وراءه مع آنتونى الممسك بذراعه.

وتناول كمب بيبته من فوق المنضدة وهو مقطب الجبين، وراح ينظفها من بقايا التبغ المحترق بدبوس أخذه من صديريته. وتراجع الكلونيل ريس فى مقعده وهو ينظر الى انتونى مدهوشاً، ثم تناول فنجان الشاى الذى أمامه وشرب ما فيه فى جرعة واحدة، ثم هتف مدهوشاً: ـ عجباً! إن هذا الشاى كثير السكر.. وأنا لم أضع فى فنجانى غير نصف قطعة!؟ ونظر إلى أنتونى الذى راح يبتسم، بينما هتف المفتش كمب حين ارتشف من الفنجان الموضوع أمامه: ـ ما هذا بحق الشيطان!! فاتسعت الابتسامة على شفتى أنتونى وهو يقول: ـ قهوة.. ولا أظن أنك تستسيغها.. لأنى لم أستسغها شخصياً.

ايريس فى خطر

وسر أنتونى حين رأى أمارات الفهم والادراك لحقيقة الموقف تلتمع فى عيون المفتش كمب والكلونيل ريس..

ولكنه لم يلبث أن صاح فى فزع: - يا إلهى.. تلك السيارة.. السيارة التى كادت تقضى على حياة إيريس اليوم، يا لغبائى.. هلم أسرعا معى.. إن إيريس فى خطر شديد.

فقال كمب وهو ينهض مدهوشاً:

- قالت إنها ستمضى فوراً الى المنزل بعد انصرافها من اسكتلانديارد.

- نعم.. ولكن كان ينبغى أن أعود معها.

- لماذا؟ من فى المنزل؟!

- روث ليسنج.. إنها هناك تنتظر مسز دريك.

فقال الكلونيل: «هل لإيريس أقارب آخرون غير مسز دريك؟»

- لم أسمع أن لها أقارب غير عمتها وابنها فيكتور.

- هل تعتقد يا مستر براون أن الخطر الشديد على إيريس؟

ـ جداً.. هلم نسرع.

واستقل الجميع سيارة مأجورة إلى منزل الفاستون سكوير.

وقال كمب: «ولكن. لماذا تعتقد أن إيريس معرضة لخطر عاجل؟».

ـ انها ذكرت أمام مسز دريك أنها تنوى الزواج بى فى أقرب فرصة ووصلت السيارة الى مدخل المنزل.

وانطلق أنتونى، والآخران يتبعانه الى الباب الخارجى، وضغط على زر الجرس بشدة، فلما فتحت الخادمه الباب، قال لها ملهوفاً:

ـ هل مس مارل موجودة؟

ـ نعم.. جاءت منذ نصف ساعة.

ـ وأين هى الآن؟!

ـ أعتقد أنها فى غرفة الجلوس مع مسز دريك.

وكانت لوسيلا دريك فير غرفة الجلوس فقال لها أنتونى: ـ أين إيريس؟!

فاندفعت فى حديث طويل عريض عن إيريس التى جاءت من الخارج منذ نصف ساعة قائلة إنها تشعر بصداع، ومن ثم صعدت فوراً إلى غرفتها الخاصة بالطابق العلوى، وروث ليسنج؟!.. لقد انصرفت منذ عشر دقائق بعد أن اتفقت معها على جميع الترتيبات لنظام الجنازة.

وأسرع آنتونى فى طريقه الى الطابق الثالث، فلما سمع وقع أقدام وراءه، التفت ليرى المفتش كمب يحاول اللحاق به، فقال له هامساً:

ـ لقد ازداد الأمر وضوحاً يا مستر كمب.. فالانسان عادة لا يشرب من كأسه حين يشرب المدعوون نخبه فى حفلة لتكريمه.. أليس كذلك؟!

ـ نعم، نعم.. معنى هذا أن إيريس لم تشرب من كأسها ـ نخب نفسها ـ فى المرة قبل الأخيرة.. كيف غفلنا عن هذه الحقيقية الواضحة!!

وعندما وصلا الى الطابق الثانى، وتأهبا لصعود الطابق الثالث، سمع أنتونى وقع أقدام خفيفة تهبط منه، فتراجع مع كمب الى باب مفتوح فى مدخل الطابق الثانى، حتى اختفى الهابط من فوق فى منعطف السلم بالطابق الأسفل.

وانطلق آنتونى إلى أعلى.. وكان يعرف أن غرفة ايريس تقع فى الجانب الخلفى من الطابق الثالث، فأسرع اليها، ونقر على بابها وهتف وهو يعالج فتحها بلهفة: «إيريس.. إيريس».

وبعد لحظة، توقف ونظر الى أرضية الصالة الواقف عليها، فلاحظ وجود مشايه من الصوف السميك التى توضع تحت الأبواب لتمنع مرور التيارات الهوائية الباردة الى الغرف.. وكانت هذه المشاية السميكة محكمة أسفل الباب بشكل أثار فضوله، ومن ثم نظر من خلال ثقب القفل الى داخل الغرفة بعد أن شم رائحة معينة، ثم انتصب واقفاً وصاح: ـ كمب.. كمب.

ولكن المفتش لم يسرع اليه، وإنما الذى أسرع اليه كان الكلونيل ريس فقال له آنتونى بسرعة وفزع:

ـ إن رائحة الغاز القاتل تتساب من ثقب مفتاح هذه الغرفة.. يجب أن نكسر الباب حالا.

وتعاون الرجلان على فتح الباب عنوة بكل ما لديهما من قوة.. فلما انفتح أخيراً، تراجعا برهة، وقال ريس:

- إنها هناك، بجانب المدفأة.. لسوف أندفع إلى الغرفة وأفتح النافذة.. وعليك أنت أن تسرع بحملها بعيداً.

وكانت إيريس مارل راقدة على الأرضية، وفمها وأنفها فوق فتحة أنبوبة غاز الاستصباح السام.

واستطاع الرجلان، بعد لحظات خاطفة، أن يحملا الفتاة المغشى عليها الى نافذة مفتوحة فى الصالة، وقال الكلونيل ريس وهو يسعل بشدة:

- لسوف أعمل على إسعافها.. وعليك أن تستدعى الطبيب بسرعة وانطلق آنتونى نحو السلم بينما كان صوت الكلونيل يرن فى أذنه:

- لا تقلق.. لقد وصلنا فى الوقت المناسب، وأعتقد أنها ستنجو وبعد أن اتصل آنتونى بأقرب طبيب، تليفونياً، تنهد وقال:

- الحمد لله.. إنه سيأتى فى أقل من خمس دقائق.

وكانت مسز دريك تولول قائلة فى دهشة واحتجاج:

- ماذا حدث؟ هل إيريس مريضة حقاً؟!

- لقد وجدناها فى غرفتها، والباب مغلق عليها، ووجهها فوق فتحة أنبوب الغاز.

فصاحت لوسيلا دريك فى فزع:

- إيريس؟! هل انتحرت إيريس؟! انتحرت؟! لا أصدق.. هذا مستحيل.. فابتسم آنتونى فى شحوب وقال:

- إن إيريس لم تنتحر، وإنما كادت أن تكون الضحية الثالثة.

المكافأة العذبة

قـــالت إيريس وهـى راقـــدة على الأريكة تتلقى أشعة شمس الخريف المنســـابة من نافــذة المنزل الريفى ليتل برايور:

- والآن يا تونى.. أرجو منك أن توضح لى كل شىء.

فنظر أنتونى نحو الكلونيل ريس الذى كان جالسا على قاعدة النافذة ينظر الى المروج الخضراء: كنت أنتظر هذه اللحظة بلهفة.. فإنى سأنفجر إذا لم أجد شخصا أبين له مبلغ براعتى وذكائى وصدق تقديرى للأمور.. وإنى سأنتظر فى النهاية أن تكافئنى بما ينبغى.

وفيما كانت إيريس تبتسم، والكلونيل يغمغم بكلمات غامضة عن «غرور الشباب» استطرد أنتونى فى حديثه قائلا:

- إن القضية الآن أصبحت واضحة كل الوضوح.. لقد ماتت روزمارى فى العام الماضى فى ظروف غامضة، واعتبر المحققون الحادث انتحاراً، ولكن جورج، بعد وصول الرسالتين المجهولتين اليه، اعتقد أن زوجته ماتت مسممة، وقرر أن يبذل جهده للقبض على القاتل، فكانت النتيجة أنه قتل أيضاً.. كل هذا كان واضحا.. ولكن المشكلة التى واجهتنا هى كيف دس السم فى كأس جورج؟!

لقد ظلت هذه المشكلة الغامضة تحيرنى حتى ومضت فى ذهنى فكرة عجيبة وأنا جالس أشرب القهوة مع الكلونيل والمفتش اللذين كانا يشربان الشاى.. لقد خطر لى حينئذ أن السم وضع فى كأسك أنت يا إيريس، وليس فى كأس جورج، وذلك أثناء فاصل الكباريه حيث تخفت الأنوار وحيث يمكن أن يقترب أى جرسون من المائدة بحجة مسح سطحها، أو لأى شىء من هذا القبيل دون أن يهتم بأمره أحد. وبعد انتهاء فاصل الكباريه، طلب جورج من المدعوين أن يشربوا نخبك، والمعتاد أن الانسان لا يشرب نخب نفسه.. أى أنك ـ كما قلت لى اليوم فعلا ـ لم تشربى من كأسك أثناء هذا النخب، أى فى هذه المرة قبل الأخيرة.. وهكذا ظل كأسك مملوءاً بالسم دون أن تشربى منه ـ لحسن الحظ حظك أنت طبعاً.. ولما نهضتم جميعاً للرقص بعد هذا النخب، سقطت حقيبة يدك أثناء وقوفك، ورآها أحد الجرسونات المساعدين، وهو الجرسون بطرس، على الأرض، فأسرع وأعادها الى المائدة، أقول أعادها الى المائدة فقط، ولا أقول أعادها الى مكانها بجوار كأسك. ولو أن الجرسون الرئيسى جوزيب هو الذى أعادها، لوضعها فى المكان الذى كانت فيه بجانب كأسك. ولكن بطرس مجرد جرسون مساعد يجرى هنا وهناك، وكان متعجلا فى تأدية طلب أحد الزبائن، وهكذا وضعها كيفما يكون بالقرب من المكان الذى سقطت منه، ولما كانت الكؤوس متشابهة، فإن أحداً منكم لم يفطن الى التغيير الذى حدث.. لم يفطن الى أن حقيبة يدك وضعت بجانب كأس جورج الخالى من السم، وهكذا جلست أنت مكان جورج، وجلس جورج مكانك، وشرب من كأسك، وهو لا يدرى، فى المرة الأخيرة، وسقط ميتاً. ولما ومضت هذه الفكرة فى رأسى وأنا جالس مع الكلونيل والمفتش فى المشرب، قررت أن أقوم بتجربة عملية لإثباتها. فقد كنا نجلس حول مائدة صغيرة مستديرة. وكان الكلونيل

يشـرب شـاياً قليل السكر، والمفتش يشـرب شـاياً كـثيـر السكر، وأنا أشرب قهوة. وكانت الفنـاجين كلها متشابهـة، تشابه كؤوس الشمبـانيا. وكان كمب يضع بيبته بجانب فنجانه. فلما طلبت منهما الخروج معى برهة، غـافلتهمـا وزحـزحت بيبـة كمب الى جانب قـهوتى، وهكذا لما عـدنا، جلس هـو فى مكانى وهـو يحسبـه مكانه بسـبب وجـود بيـبتـه بجـانب فنجـان القـهـوة، وجلست أنا فى مكان الكلونيل ريس، وجلس الكلونيل فى مكان كمب دون أن يدرى أحدهمـا بأى تغيير فى الوضع إلا حين شرب الكلونيل جرعة من شـاى المفتش الكثير السكر، وحين شرب المفتش رشفه من قهوتى.

وكان السبب فى كل هـذا التغـيـيـر فى ترتيب الجلوس هـو نقل بيـبة كمب من جانب فنجانى. وهذا نفس ما حدث عندما سقطت حقيبة يدك يا إيريس. وعند مـا أعـادها الجـرسـون المتعجل الى المائدة، ولكن بعد أن غيـر مـوضعهـا، وهـو لا يدرى فـأصبـحت بجـانب كـأس جـورج الخـالى من السم، وأصبح كأسك أنت المسمم من نصيب جورج المسكين.

وصمت أنتونى برهـة قبل أن يستطرد قـائلا: كانت الجريمة الثانية مـدبرة للقـضـاء عليك أنت يا إيريس.. وقـد اسـتـخـدم جـورج، دون أن يدرى، لتنفـيـذها.. فلو لم يحدث ذلك الخطأ فى انتقـال حقيبـة اليد من مكان الى مكان، لظن الجميع أنك انتحرت كما انتحرت أختك فى العـام الماضى، لاسيما بعد أن يعثر البوليس على كيس السم الصغير فى حقيبـة يدك كمـا عثـر على مثله فى حقـيبـة روزمـارى، ولأعـتقـد الرأى العـام أن «الانتـحـار» وراثى فى العـائلة، وأنك انتـحـرت بسـبب حـزنك الشـديد على أختك، وأنك. كـفـتـاة ثرية، تعـودت إدمـان أى نوع من المخـدرات بسـبب هـذا الحـزن.. أو لأنك قـتلت أختك طمـعـاً فى الميـراث، ولكنك لم تحـتـملى عـذاب الضـمـيـر، فـانتـحـرت فى نفس الظروف المتشابهة التى انتحرت فيها أختك.

فقالت إيريس فى دهشة: ولكن لماذا .. لماذا يحاول أى شخص أن يقتلنى.. لماذا؟! بسبب المال.. المال الجميل.. المال الوفير.. الثروة.. ثروة روزمارى.. ثروتها التى انتقلت اليك. ولنفرض أنك مت قبل أن تتزوجى، فإلى من تنتقل الثروة؟ الإجابة هى أنها ستنتقل الى أقرب الناس اليك.. الى عمتك لوسيلا دريك.. أو بمعنى آخر الى ابنها فكتور.. فإن المال الذى فى يد الأم، سيصبح فورا فى يد الابن المدلل.. الابن الذى عاش طول عمره وهو يأخذ من أمه ما يشاء من مال حتى كاد أن يقضى على كل مدخراتها.. إن فكتور دريك يا عزيزتى إيريس هو القاتل الأول.

- عجباً.. إن فكتور فى الأرجنتين... أحقاً.. لسوف نبحث هذه الحقيقة عندما نتناول القاعدة الأساسية فى كل قصة.. شاب يقابل فتاة.. وقد بدأت قصتنا - أو قضيتنا هذه - عندما التقت روث ليسنج بفكتور دريك لأول مرة. لقد سيطر عليها تماماً فى تلك المقابلة.. لقد فتنها وجذبها واستهواها فوقعت بين يديه بسهولة.. فالمعروف أن الفتيات الهادئات المتزنات من النوع الذى عرف الحب الملتهب، غرق فيه الى أذنيه.. أما وجود فكتور فى الأرجنتين، فليس هناك أى دليل عليه إلا كلمة روث.. قالت روث إنها ودعته على سطح الباخرة كريستوبال التى أبحرت الى امريكا الجنوبية قبل مقتل روزمارى بخمسة أيام.. فهل هى ودعته فى ذلك اليوم حقاً كما قالت؟! إن أحداً لم يحاول أن يتأكد من أقوالها، لأنه لم يكن ثمة ما يدعو الى الشك فيها.. وكذلك كانت هى التى قالت إنها اتصلت تليفونياً بعميل جورج فى بيونس ايريس ليسوى الموقف الحرج الذى يعانيه فكتور.. فهل حقاً اتصلت تليفونياً بالعميل كما زعمت؟! لقد طردت فى نفس اليوم عاملة التليفون فى مكتب جورج بحجة أنها كانت تسترق السمع عليها، وإنما هى طردتها فى الحقيقة حتى لا تشهد الفتاة بأن روث لم تتصل تليفونياً

بعميل جورج فى الأرجنتين.

ومن الطبيعى الآن أن فى مقدورنا إثبات كل شىء.. فقد ثبت فعلا أن فكتور دريك لم يبحر الى الأرجنتين على الباخرة كريستوبال كما زعمت روث، وإنما أبحر بعد مقتل روزمارى بيوم واحد. واعترف أوجليفى - عميل جورج فى بيونس إيريس - برقيا، أن روث ليسنج لم تتصل تليفونيا به بخصوص مشكلة فكتور دريك غادر بيونس إيريس الى نيويورك منذ بضعة أسابيع. ولم يكن أسهل على فكتور من أن يتفق مع شخص معين فى بيونس ايريس لكى يرسل برقية بصيغة معينة فى يوم محدد الى أمه مسز دريك. وبذلك يعتقد الجميع أنه موجود فى الأرجنتين يوم إرسال البرقية، مع أنه موجود، فى الواقع، بمدينة لندن. فتمتمت إيريس مدهوشة: - هنا.. فى لندن..؟!

فالقى انتونى بمفاجأته الأخيرة قائلا: نعم فى لندن. وكان جالسا على المائدة القريبة من مائدتنا ليلة الحفلة مع الفاتنة الشقراء كريستين شانون. أتعنى ذلك الرجل الغريب ذا الوجه الملوح والعينين الحمراوين؟!.. نعم.. إنه هو.. وليس أسهل على أى شخص بارع فى عمليات التنكر أن يبدو ملوح الوجه، أحمر العينين.. وهذا النوع من التنكر يغير الشبه الى حد كبير.. وفى الواقع كنت أنا الوحيد بين المدعوين فى حفلة جورج - ما عدا روث ليسنج - الذى سبق لها رؤية فكتور دريك.. ولكننى لم أكن أعرفه بهذا الاسم، وإنما عرفته باسم مونكى كولمان. وكانت معرفتى به أول مرة فى السجن بأمريكا.. ولهذا لم أشأ أن أجعله يرانى وأنا جالس بينكم فى اللوكسمبرج حتى لا يهتف باسمى الحقيقى ويفشى سرى. وإنما قررت أن ألتقى به اليوم التالى إذا لزم الأمر. ولهذا السبب حرصت على أن أجعل ظهرى إليه.. ولم أكن أعرف أن مونكى كولمان هو نفسه فكتور دريك.

فقال الكولونيل ريس من مكانه على قاعدة النافذة: وهو نفسه الذى كان يجلس مع الغانية الشقراء باسم بدرو موريلز.. المكسيكى.

فقالت إيريس فى دهشة: - ولكن.. كيف وضع السم فى كأسى.. أعنى فى الكأس الذى شرب منه جورج؟!

- لم يكن أسهل عليه من هذا.. كان اللعين قد دبر الخطة بإحكام.. وقد اعترفت الغانية الشقراء كريستين أن صاحبها بدرو موريلز ذهب ليتحدث فى التليفون أثناء فاصل الكباريه، ولكنه، فى الواقع ذهب ليتنكر فى هيئة جرسون.. ولم يكن أسهل عليه من عملية هذا التنكر، لأنه لم يكن فى حاجة إلا إلى فوطة يضعها حول وسطه.. وإلا أن يجعل ظهره دائماً إلى حيث تجلس صاحبته كرريستين، وإن كان من غير المحتمل أن تراه وتتعرف عليه حتى لو نظرت إلى وجهه، فالمعتاد أن رواد المطاعم الفاخرة لا يحدقون النظر إلى الجرسونات المساعدين، بل لا يشعرون بوجودهم إلا على أنهم «جزء» من أثاث المطعم.. وهكذا أتيحت الفرصة لفكتور دريك أن يدس السم فى كأسك يا إيريس وهو يتظاهر بمسح سطح المائدة أو رفع بعض الصحون الخالية، وبطبيعة الحال كنتم مشغولين عنه بالنظر الى فاصل الكباريه، هذا فضلا عن خفوت الأضواء. والمعروف عن فكتور أنه تقلب أعمال مختلفة، منها الخدمة فى المقاهى والمطاعم.. وكان تدريبه على هذا النوع من العمل سبباً لأن ينجح فى دوره.. فلو أنه لم يكن مدرباً كجرسون، للفت الأنظار إليه بارتباكه واضطرابه.. وبعد أن وضع السم فى الكأس، أسرع الى غرفة الملابس فى المطعم، وخلع الفوطة، واستعاد هيئته على أنه السائح المكسيكى بدور موريلز، وعاد إلى صاحبته الشقراء كريستين.. أى العملية كلها لم تستغرق منه أكثر من خمس دقائق.

وقالت إيريس: ـ وروث.. ما دورها؟!

ـ إنها هى التى وضعت كيس السم فى حقيبة يدك فى غرفة زينة السيدات، كما فعلت مع روزمارى فى العام الماضى.

ـ ولكن.. كيف بدأت الخطة..؟!

ـ بدأت منذ اللحظة التى التقت فيها روث ليسنج مع فكتور دريك فى غرفته بالفندق.. لقد عرف هذا اللعين كيف يضرب على أوتار قلبها الحساسة.. عرف كيف يضرم نيران حقدها على روزمارى، وكيف يلوح لها بالأمل فى الزواج من جورج إذا أزيحت روزمارى من الطريق.. كان هو يهدف فى قرارة نفسه للحصول على ثروة روزمارى بعد أن يقضى عليها ثم عليك.. وكانت هى تهدف الى المال، والى الزواج بجورج بارتون فى أول الأمر، ولكنها عدلت أخيراً وقررت الزواج من فكتور بعد أن أحبته.. هذا الى إرواء غليلها من روزمارى.. نعم.. لقد تبينت أنها تحب فكتور بعد أن اشتركت معه فى قتل روزمارى.. هو يدس السم فى كأس روزمارى أثناء فاصل الكباريه، بعد أن تنكر فى هيئة جرسون، وهى بوضع كيس السم فى حقيبة روزمارى ليبدو الحادث على أنه انتحار.

وسافر هو الى الأرجنتين.. وتبينت هى أثناء سفره أنه فتى أحلامها بشبابه وقوامه الطويل وجاذبيته العارمة.. وهكذا اتفقا على تدبير خطة لقتلك بشرط أن يبدو الحادث أمام الناس عامة، وأمام جورج خاصة، أنه حادث انتحار فتاة حزينة على أختها أو شقية بعذاب ضميرها الذى راح يؤنبها لأنها قتلت هذه الأخت من أجل المال... هذه هى الفكرة العامة. ولذلك أرسلت روث الرسالتين المجهولتين الى جورج لكى تسغله ـ دون أن يشعر ـ فى تنفيذ الخطة.. وليس من شك فى أنها هى التى أوحت إليه بجميع الخطوات التى

اتخذها بعد ذلك.. وقد اعترفت هى بهذا كله فعلا.. هى التى أثارت شكوكه فى آل فراداى وجعلته يشترى منزل ليتل برايور ليراقبهما، وهى التى أثارت شكوكه فى شخصى، بل فى شخصك يا إيريس، وهى التى أوحت إليه باقامة هذه الحفلة فى اللوكسمبرج زاعمة له أنها ستكون الشرك الذى سيقع فيه القاتل.. وكانت بطبيعة الحال تهدف الى تهيئة الجو لارتكاب جريمة تبدو فى نظر الجميع حادث انتحار.. وكانت هى التى اتصلت بالممثلة كلووست تليفونياً وزعمت لها أن الحفلة تأجلت، وذلك خوفاً أن يفسد حضور الممثلة الخطة الموضوعة. وصمت أنتونى برهة، قبل أن يستطرد قائلا:

- ولما فشلت الخطة، بسبب انتقال حقيبة يدك من مكانها بجانب كأسك الى جانب كأس جورج، وهكذا تبادلتما الكأسين دون أن تعلما، جن جنون الاثنين، لاسيما حين علم فكتور - من روث التى علمت من مسز دريك - أنك ستتزوجين بى فى أقرب فرصة. وزواجك بى، سيضيع الفرصة عليهما فى انتقال الثروة الى مسز دريك إذا مت قبل الزواج. ذلك أن قانون الميراث هنا يجعل الزوج أقرب الناس فى الميراث الى زوجته بعد الأبناء، ما لم يكن هناك وصية تنص على غير هذا.

ومن ثم حاولت أن تقضى عليك بسيارة كانت تقودها لهذا الغرض.. فلما فشلت، جاءت الى البيت متأخرة عن موعدها معك قليلا - وهى كما رأيت - مضطربة مرتبكة على غير عادتها، زاعمة أنها لم تجد سيارة أجرة، وأن السيارات العامة وقطارات المترو كانت مزدحمة.. ولم تتراجع عن محاولة قتلك، فانتهزت فرصة انفرادك فى غرفتك فى الطابق العلوى. واستأذنت فى الانصراف من مسز دريك، وتسللت إليك.. وعليك أن تخبرينا أنت ماذا فعلت معك.

فقالت إيريس: - لقد طرقت على الباب برفق، فلما أذنت لها بالدخول، أقبلت قائلة إنها ترجو أن أكون بخير، ثم إذا هى تلتقط

مشعلا كهربائيا كبيرا «بطارية ضوء» مغلفة بالمطاط قائلة إنها مشعل جميل ثمين.. وبعد ذلك لم أشعر بشيء.

ـ لقد أهوت به على مؤخرة رأسك، فوقعت مغشياً عليك، ثم جعلت وجهك فوق فتحة أنبوبة الغاز بعد أن أدارت مفتاحها، ثم أغلقت الباب وألقت بالمفتاح من تحته الى داخل الغرفة، ثم أحكمت إغلاق فتحته السفلى بالمشاية الصوفية لكيلا يتسرب الغاز ويشم أحد رائحته فيسرع لإنقاذك. ولكننا ـ المفتش كمب وأنا ـ وصلنا فى الوقت المناسب، وقد رأيناها وهى تهبط من الطابق الثالث، فاختبأنا فى مدخل الطابق الثانى، وفيما أنا أسرع الى غرفتك، كان المفتش كمب يسرع وراء روث حيث رآها تستقل سيارة خاصة كانت قد أوقفتها بعيداً عن البيت، وهى نفس السيارة التى كادت أن تقتلك بها والتى جاءت بها البيت زاعمة أنها لم تجد سيارة أجرة فى الطريق! وحتى لا نفطن الى كذبها، أوقفتها فى مكان بعيد عن مدخل البيت.. ولكن المفتش لحق بها وقبض عليها. وفكتور دريك؟!

ـ قبض عليه هذا الصباح بمجرد هبوطه من الطائرة فى مطار نيويورك.

وساد الصمت فجأة.. وأخيراً قالت إيريس فى صوت حزين:

ـ كل هذا من أجل المال؟!

ـ نعم.. ولهذا لا أريد أن تكافئينى على براعتي ونبوغى ومهارتى بالمال.. وإنما... ثم نظر الى الكلونيل ريس باسماً.. فأومأ الكلونيل برأسه وهو يبتسم أيضاً، ثم غادر الغرفة. وعندئذ أخذ أنتونى إيريس بين ذراعيه وضمها الى صدره وقبلها قائلا:

ـ إن قبلة منك يا إيريس هى أعذب وأثمن مكافأة لى.

وتنهدت إيريس. وراحت، مع أنتونى، يتبادلان الحديث عن الزواج.